سلسلة إدارة الحياة (5)



كيف نجح هؤلاء ولماذا يفشل آخرون

Dr. Mohamed Fathy

الدكتور محمد فتحي

خبير التنمية البشرية والتطوير الإبداعي

سلسلة إدارة الحياة
(٥)

كيف نجح هؤلاء؟
ولماذا يفشل آخرون؟

د. محمد فتحي
خبير التنمية البشرية
والتطوير الإداري



الطبعة الأولى للناشر

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٩٦٥٧

الترقيم الدولي: I.S.B.N

978 - 977 - 456 - 152- 3

مركز السلام للتجهيز الفني

عبد الحميد عمر

٠١٠٦٩٦٢٦٤٧





كيف نجح هؤلاء؟ ولماذا يفشل الآخرون؟

الإجابة وببساطة هو أن الناجحين لديهم إرادة وأن الآخرين استسلموا للفشل، كما أن الآخرين ينقسمون إلى قسمين: قسم يفكر ولا يعمل، وقسم آخر يعمل ولا يفكر أبدًا.

أما الناجحون فلديهم القدرة على تحويل الفشل إلى نجاح، فالفشل في قاموسهم ليس هزيمة وإنما هو تأخر في تحقيق الهدف، وهو مرحلة يمكن تجاوزها وذلك بشحذ الهمم والعزائم والمبادرة بالسير في طريق النجاح، والناجحون يخرجون من تجربة الفشل أكثر صلابة وقوة، فقد يستفيدون من أخطائهم وفشلهم أكثر من استفادتهم من نجاحاتهم، أما الضعفاء فهم الذين ييأسون عندما يفشلون ويعتقدون خطأ أنهم لا يستطيعون أن يصنعوا شيئًا بعد الفشل، وأن طريق النجاح مسدود وتحقيقه من وجهة نظرهم مستحيل أو محدود.

لا لليأس.

لا للقنوط الذي يقتل النفوس.

لا للوهن إلى العزائم طريق.

بل القدرة- بفضل الله- على تحويل الفشل إلى محاولة للنجاح.

بل صقل النفوس والعزائم بالتجارب القاسية.

بل تجاوز التجربة والقفز على الفشل.

بل الحلم والرغبة الجادة والعزم والتصميم.

بل بإيقاظ المارد النائم داخل النفوس وبين الأضلاع.

بل اليقين التام أن أول الشجرة «النواة».

بل بالإجابة الوحيدة على الهزيمة بـ: الانتصار.

هكذا نجح هؤلاء وبغير هذا فشل الآخرون.

وما في هذا الكتاب تجارب الناجحين لطالما سقط الكثير منهم في فخ الفشل مرات، ولكنهم تجاوزوه واستفادوا منه وعبروا لطريق النصر وفازوا وأصبحوا نجومًا في سماء النجاح.

المؤلف
Mf_expertise@hotmail.com

النجاح قدرك ...
فلا تتوقف وتخطٍّ الحواجز

يقول أحد الكتاب: كنت أظن أن أكثر الأحداث مأساوية للإنسان هو أن يكتشف بئر نفط أو منجم ذهب في أرض، بينما يرقد على فراش الموت، ولكن عرفت ما هو أسوأ من هذا بكثير وهو عدم اكتشاف القدرة والثروة العظيمة داخله.

نعم اكتشاف أنت، أنت وليس أحدًا غيرك.

أنت من فضَّلك ربُّك وأكرمك عن سائر وباقي مخلوقاته.

أنت الذي استخلفك في الأرض وأسجد لك ملائكته.

أنت المخلوق في أحسن وأكمل وأجمل صورة.

وينتظر منك أن تحمل الأمانة بسيرتك الذاتية، وتغير الأحداث، وتُسطر أروع الإنجازات.

كيف يحدث منك هذا؟ بالهمة العالية وبالسير في درب التفوق الدائم.

بما معك من صحة وعافية وإعاقة إن وجدت، وما لك من عذر.

هل هناك فرق بين مليون دولار ودولار وكلاهما في قعر البحر؟!

وهل هناك فارق بين شخص يملك قدرات هائلة عظيمة لم يستخدمها وبين آخر كسيح مقعد؟!

قد يكون للأخير فائدة هائلة على الرغم من قلة قيمته (أي الدولار أو الكسيح المقعد) إن فعل خيرًا وأدار نفسه، كصاحب الهمة الشيخ الشهيد أحمد ياسين ويصدق فيه قول الشاعر:

هذا هو الشرف الذي لا يدعى

هيهات ما كل الرجال فحول

وقد لا يكون للمليون دولار أو صاحب الملكات والقدرات الهائلة فائدة إن ظلت هذه الكلمات والقدرات دفينة محبوسة بأمر مالكها فلا يستفاد منها كما قال الشاعر:

يحاول نيل المجد والسيف مغمد

ويأمل إدراك المنى وهو نائم

ولعل في ثقافة المجتمعات ما يوضح ذلك، فلو أنك استوقفت أمًّا أمريكية وسألتها عن سبب تميز أو ضعف أداء ابنها الدراسي لقالت مباشرة: إن ذلك يعود لضعف أو قوة قدراته الفطرية.. ابنى ذكى لماح أو متوسط الذكاء عادى.

أما لو سألت أمًّا يابانية لوجدت عندها الخبر اليقين

فالإجابة وبالإتقان عند كل الأمهات اليابانيات: إن التميز أو الضعف يعود إلى حجم الجهد المبذول؛ لذا فالقاعدة عند جميع اليابانيين تقول: إن الإنجاز ممكن لو بذل جهدًا إضافيًّا وصبر على المتاعب.

أما لو سألت أمًّا عربية لوجدت إجابة مختلفة تمامًا، فستجد أن المدرس الخصوصي هو الأساس أو أن الأم هي المتفوقة لأنها القائمة على أمر المذاكرة للولد، أما الولد الذي تفوق فله الله فهو عبارة عن كائن فارغ يتم ملؤه بالمعلومات والبيانات ثم يلقى بها في الامتحان وينساها بمجرد الخروج منها، نعم هو وهي صبرا على المتاعب ولكنها بدون وعى أو ثقافة لأنها ببساطة كمثل من ينزع مخالب الأسد أو كالليث وقد سجن في أقفاص السيرك وكسرت أنيابه فغدا كالبعير أو كالماعز لا رجع ولا أثر.

ولذا فإن عليك أن يكون لك دافع لما تفعل، أن تتهرب من مستنقع الخيبة والكسل الذي عاش فينا وبداخلنا وعشنا فيه وألحق بقوافل الناجحين، فالحياة إما أن تكون مغامرة جريئة أو لا شيء كما قالت المعاقة هيلين كيلر الحاصلة على أكثر من درجة للدكتوراه، وتأكد أن ما تحصل عليه من دون جهد أو ثمن ليس له قيمة، فإن فشلت فالفشل ما هو إلا هزيمة مؤقتة تخلق لك فرصة النجاح، فإن قررت الهروب، فالهروب هو السبب الوحيد

في الفشل؛ لذا فإنك تفشل طالما لم تتوقف عن المحاولة وتقبل النصح وتعلم منه فالكثير من الناس قد يتقبل النصح لكن الحكماء فقط هم الذين يستفيدون منه، واعلم جيدًا أن العالم يفسح الطريق للمرء الذي يعرف إلى أين هو ذاهب وقد لا يصل الناس إلى حديقة النجاح دون أن يمروا بمحطات التعب والفشل واليأس وصاحب الإرادة القوية لا يطيل الوقوف في هذه المحطات.

وتمسك بعوامل النجاح بـ:

- وجود رسالة لك في الحياة.
- المحافظة على أوقاتك والاعتماد وإدارة الذات وعدم الاستسلام للعشوائية.
- حسن التعامل مع الآخرين والاستحواذ على قلوبهم.
- التجديد المستمر والبعد عن الروتين الممل.
- الالتزام ببرنامج واضح نحو هدف معين.
- استغلال الفرص والاستعداد لها حتى لا تفاجئ بها فتضيع وتتحسر عليها.
- الثقة بالله والاعتماد عليه ثم الثقة بالنفس.

واعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وإذن فزمام أمرك في يدك.

وهذا ما حدث مع هذه الفتاة: ففي عام ١٩٥٤م ولدت طفلة اسمها «ويلمارودلف» كانت مولودة عادية وطفلة طبيعية وسعيدة جدًّا من النوع الذي يبتسم دومًا ويحب أن يتعرف على الناس بكل يسر وصاحبة طاقات هائلة، وعندما كانت في الرابعة من عمرها أصيبت بأنفلونزا حادة؛ حيث ارتفعت درجة حرارتها بدرجة غير طبيعية ثم سببت لها الشلل، شلل نصفي من صدرها إلى قدميها، ولما كانت صغيرة ولا تعي مفهوم عدم الحركة بعد النشاط الدائم مثل سابق عهدها كانت تبكي باستمرار وأصبحت في حالة نفسية سيئة، فَحَصَها العديد من الأطباء لكن دون جدوى، فأصبحت طفلة معاقة جالسة في كرسي كهربائي متحرك أو أن يوضع على قدميها قضبان حديدية ويعطى لها عكازان حتى تبدأ تتعلم تمشي وكأنها تمشي بطريقة جديدة تتماشى بها مع الحياة الجديدة لها، وبقيت على هذه الحال لمدة ست سنوات أخرى وأصبح عمرها عشر سنوات لا تعي غير أنها طفلة مشلولة متعبة ومنهارة جدًّا ولا تسمع من الأطباء سوى عبارات محددة مثل: لا يمكنها إطلاقًا أن تمشي مرة أخرى،

وحتى وإن مشت فلن تمشي بالطريقة الطبيعية التي كانت عليها في الماضي، أما هي فكان لها شأن آخر بعد فترة من الزمن، إحساس داخلي أنها في يوم من الأيام ستستطيع أن تمشي فعلاً وكما كان في السابق!

وذات يوم وهي تشاهد التليفزيون رأت برنامجًا يعرض تجربة مؤسسة للمعاقين ويعدهم للأوليمبياد الخاصة بهم فنظرت إلى والدتها الجالسة بجوارها وقالت لها: لنذهب إليهم ونرى ماذا يفعلون، ولم تضيع الأم الوقت فاتصلت هاتفيًّا بهم وحددت موعدًا، وفي اللقاء الأول وجدوا سيدة تحب المعاقين وتحترمهم جدًّا، وكانت من أبطال رياضة الجري على مستوى العالم في السابق، جلست بجانب «ويلما» يتحادثان حتى قالت لها الأخيرة: إني معجبة جدًّا بك وأتمنى أن أصبح مثلك، فقالت لها السيدة: بل ممكن أن تكوني أحسن منى.

فقالت لها «ويلما»: كيف؟!!

قالت لها السيدة: إيمانك الداخلى، إيمانك بالله سبحانه وتعالى عندها ممكن أن تحدث المعجزة وقد حدثت للكثير من قبلك.

فرحت «ويلما» كثيرًا بهذا الكلام وقالت للسيدة: إنها على

استعداد أن تبدأ من الآن، فقالت لها السيدة: نحن سنبدأ بالتدرج مرحلة مرحلة، مرحلة تغيير القناعات الذهنية ثم مرحلة التدريبات البدنية للجسم وباعتقادك وقدراتك الداخلية ستبدأين التحرك بإذن الله، وبدأت «ويلما» التدريبات والعلاج الطبيعي الذي استمر لمده عامين كاملين، وكانت المفاجأة للجميع وخاصة الأطباء حين طالبت بنزع الحديد من قدميها ووقفت على رجليها بدونه وبدأت تتحرك وتمشي قليلاً شيئًا فشيئًا.

عندها قالت لمديرة المؤسسة: إنها تحس في داخلها أنها تريد أن تلعب وتجري وأنها ستكون بطلة العالم وليس هذا وفقط بل سأصل إلى أن أكون أسرع سيدة في العالم هكذا قالت...

فقالت لها المديرة: لِمَ لا؟ الذين وصلوا إلى ما هم عليه الآن ليسوا بأحسن منك، تعالى لنبدأ مرحلة مرحلة.

بدأت «ويلما» في البداية تمشى بصعوبة، مشيًا غير طبيعي ثم مع مرور الأيام والشهور والسنين (ثلاث سنوات) وصلت إلى مرحلة استطاعت أن تمشي لوحدها وتتحرك قليلاً. عندها قالت لها المديرة: ما رأيك يا«ويلما» بأن نشارك في البطولات إندهشت «ويلما» وقالت: ضروري ١٠٠٪ سأخسر.

قالت المدير: لا يهم إن خسرت أم لا، المهم أن تكوني داخل المنافسة وأن تدركي فعلاً ما أنت عليه الآن وتحسي به، وممكن أن تكوني أسرع سيدة في العالم.

شاركت بالفعل في البطولة وفي الوقت الذي كان آخر المشاركين شارف الوصول إلى خط النهاية كانت هي بعيدة جدًّا جدًّا، كان الطريق طويلاً وصعبًا، ولكن كان المشجعون يصفقون لها حتى وصلت إلى خط النهاية كآخر عداءة.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أصبحت بطلة العالم وعمرها ٢٣ عامًا، التزمت بالتدريب وصبرت على كل الأشياء التي حدثت لها، وفي عام ١٩٨٢م أصبحت «ويلما» بطلة العالم فى ١٠٠م، ٢٠٠م، ٣٠٠م، ٤٠٠م وجرت ميلاً كاملاً في أقل من ٣ دقائق ونصف، وحطمت بالفعل كل الأرقام القياسية التي كانت في العالم وأصبحت أسرع سيدة في العالم.

وفي حديث لها لشبكة سي إن إن عن السبب الذي جعلها تصل إلى هذه الدرجة العالية من النجاح قالت: «أول شيء إيماني بالله سبحانه وتعالى وتركيزي وتوقعي أنه سيساعدني، كنت أعرف أن معجزة ستحدث لي وأدركت أن لي قدرات رائعة فبدأت أركز على قدراتي لم أكن أركز على التحديات بل ركزت

على القدرات لدرجة أنني كنت أعرف أنني سأقوم بذلك، كنت أشاهد الأبطال وعشت الحلم، ركزت على الفكرة وجعلت جسمي ومخي وكل قدراتي تذهب إليها إلى غاية وصولي إلى بطولة العالم».

من أمثال هذه حوَّل العظماءُ الفشلَ إلى نجاح.

وأنت: سر خلف حلمك مع رغبة جادة وعزم وتصميم فإما أن تنجح وإما أن تتعلم وتكبر.

الفشل ينبغي أن يكون لك معلمًا وليس مقبرة لطموحاتك وتطلعاتك.

واعلم أنه: متى توافرت الإرادة سهل الطريق وهانت الصعاب وتحققت المعجزات وعندها سيكون النجاح قدرك.

***

جوته وهوجو وشكسبير العرب
فارس القلم.. صاحب تحت راية القرآن
مصطفى صادق الرافعي

- رجل أصيب بمرض أضعف من صوته وأفضى بسمعه إلى الصمم.
- رجل انقطع عن الدراسة ونال منها الابتدائية فقط.
- رجل ظل حتى مماته موظفًا بسيطًا «كاتب محكمة»، ولكن كان مثال الإخلاص والنشاط فيه حتى آخر يوم عاش فقيرًا ولكن كان معتدًا بنفسه شديد الاعتزاز بها.
- رجل وقف بقلمه في وجوه أعداء الإسلام الذين تكاثروا في ميدان الطعن فيه سواء منها من كان من الغربيين أو من مستغربي العرب، ولم يضره ما قالوه عنه من اتهام بالصناعة والتكلف والبعد عن روح العصر.
- رجل كان يرى أن نهضة الأقطار العربية لا

تقوم على أساس وطيد إلا إذا نهض بها الركنان الخالدان: الدين الإسلامي واللغة العربية، ولا بد لها أن ترجع إلى تراثها حتى لا تفقد شخصيتها فكان: زعيم القديم، إمام البيان.

- رجل انقطع إلى مدرسته التي أنشأها بنفسه وأعد برامجها بنفسه، فكان هو المعلم والتلميذ فانكب على مكتبة والده الحافلة التي تجمع نوادر كتب الفقه والدين والعربية فاستوعبها وراح يطلب المزيد، وكانت علته سببًا باعد بينه وبين مخالطة الناس فكانت مكتبته هي دنياه التي يعيشها وناسها ناسه وجوها جوه وأهلها أهله وصحبته وخلانه.

- كل يوم يقرأ ولمدة ٨ ساعات بدون كلل أو ملل ولا ينشد الراحة لجسده وأعصابه، إنها الإرادة القوية التي قد تجعل الإصابة بعاهة أو أكثر ليست نهاية العالم بل تجعل صاحب العاهة بطل إنتاج يسبق الأصحاء بأشواط كثيرة فكان: الرافعى.

- عاش «مصطفى صادق الرافعي» في فترة زمنية ارتفعت فيها دعاوى التجديد ومحاولة سلخ الأمة عن هويتها فآلى على نفسه أن يجعل من قلمه سلاحًا يزود به عن هذه اللغة ليعيد إلى لغة القرآن مكانتها المرموقة فكانت كتابته شواظًا من نار أحرقت الدعاوى الباطلة وأرهبت المتآمرين على مقدسات الأمة، كما حمل راية العودة إلى الينابيع الأصيلة دون خوف أو وجل غير عابئ وبما يوجه إليه من سهام واتهامات وأكاذيب.

بدأ حياته الأدبية شاعرًا وأصدر إذ ذاك ثلاثة دواوين أعجب بها أهل زمانه وكان عمره لم يتجاوز الـ٢٥ فأطلقوا عليه شاعر الهوى والشباب، ووجد الرافعى أن الشعر لا يحقق له طموحاته فأقبل على النثر وكان يقول: «إن في العربية سرًّا خالدًا هو الكتاب المبين، واعتبر القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إليها، ولولا العربية التي حفظها القرآن على الناس وردهم إليها وأوجبها عليهم لما اطرد التاريخ الإسلامي ولا تماسكت أجزاء الأمة» وكان حريصًا على اللغة حرصه على الدين إذ لا يزال منهما شيء واحد قائم كالأساس والبناء لا منفعة فيهما معًا إلا بقيامهما معًا.

ويرى أنه ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار فجعل هدفه أن يكون لهذا الدين حارسًا وينفخ في اللغة ليردها إلى مكانها ويرد عنها.

الأهداف لدى الرافعي:

كانت معارك الرافعي كثيرة ومتنوعة في ميدان الدفاع عن اللغة العربية والعقيدة الإيمانية والفكر الإسلامي بصفة عامة، فكان لا يخوض معركة إلا وله هدف من ورائها، هدف محدد وغاية معلومة فكان من أهدافه:

- كان يدرك بـ: هم إخواننا نكره أفعالهم فإن تابوا عنها فهم إخواننا.
- يقول: «..... وأنا وأمثالي إنما نحرص أشد الحرص على هذه اللغة لأنها أساس الأمة الإسلامية فلا نرضى إلا أن يكون هذا الأساس ثابتًا متينًا لا يزعزعه شيء ولا يثلمه شيء ولا يضعفه شيء والدكتور (يقصد د. طه حسين) وأمثاله لا يبالون أن تكون هذه الأمة كبيوت أمريكا....».
- عدم رفض التجديد ولكن رفض التجديد الذي يقوم على أنقاض الماضي وما عليه حال دعاة التجديد وما يتطلعون إليه من هدم الموروثات الثقافية.
- لم يكتب لشهرة ولا لمال ولا لمنصب وإنما كان الإسلام هو دافعه وموجهه؛

ولذا فإن أهم سمات أدب الرافعى كانت:

- الأصالة الإسلامية ويؤكد هذا ما علق به على نشيد «ربنا إياك ندعو» فيقول: «إني أعلق أملاً كبيرًا على غرس هذه المعاني في نفوس النشء المسلم».

- أصالة المعاني والألفاظ فهو الذي تربى على الجاحظ وابن المقفع وبديع الزمان ولم يعش في القرن العشرين.

- القوة في الحق: فلم يداهن أحدًا فها هو يهاجم العقاد (وكان حينها العقاد كاتب الوفد الأول) وهذا عبد الله عفيفي شاعر الملك، وتلك الجامعة المصرية يهاجمها هي وأساتذتها ومنهج الأدب فيها، وذاك الدكتور طه حسين في كتابه «الشعر الجاهلي».

فكان لا يخشى في الله لومة لائم، وها هو يقول في مقدمة كتابة «تحت راية القرآن» [إننا في هذا الكتاب نعمل على إسقاط فكرة خطرة وإذ هي قامت اليوم بفلان الذي نعرفه فقد تكون غدًا فيمن لا نعرف ونحن نرد على هذا].

وفي معركة أخرى مهمة قال بعضهم: إن كلام العرب في باب (الحكم) مثل عبارة: «القتل أنفى للقتل» أبلغ من الآية القرآنية: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩].

لم ينم الرافعى ليلته بعد أن لفت نظره إلى هذا الأمر العلامة محمود محمد شاكر قائلاً له: في عنقك أمانه المسلمين جميعًا لتكتبن في الرد على هذه الكلمة الكافرة لإظهار أوجه الإعجاز في الآية الكريمة وأين يكون موقع الكلمة الجاهلية منها، فاستطاع الرافعى ببلاغته أن يقوض هذا الزعم من أساسه بمقالاته: «كلمة مؤمنة في رد كلمة كافرة» التي عدد فيها وجوه الإعجاز في الآية الكريمة.

- الإنصاف: فهذا أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة يقول للرافعى: يا صاحب تاريخ آداب العرب هل تستطيع أن تجرد نفسك من ملابسات الخصومة وتجمل لنا رأيك الخالص في العقاد؟ فيجيب الرافعى: أقول الحق أما العقاد أحترمه وأكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه قليل الإنصاف لغيره، ولعله أعلم الناس بمكانى في الأدب وأحترمه لأنه أديب قد استمسك أداة الأدب وباحث قد استكمل عدة البحث فصير عمره على القراءة والكتابه فلا ينفك كتاب وقلم.

وكان من إنتاجه الأدبي:

- تحت راية القرآن: المعركة بين القديم والجديد، يرد به على كتاب طه حسين في الشعر الجاهلي.
- وحي القلم: مجموعة من المقالات النقدية والإنشائية

والقصص المستوحاة من الحياة الاجتماعية والتاريخ الإسلامي.

- تاريخ آداب العرب: انقطع له من منتصف سنة ١٩٠٩ إلى آخر سنة ١٩١٠م.
- حديث القمر: وكتبه في أربعين يومًا.
- المساكين وقيل عنه من أحمد زكي باشا: لقد جعلت لنا شكسبير كما للإنجليز شكسبير وهيجو كما للفرنسيين هيجو وجوته كما للألمان جوته.
- رسائل الأحزان وكتبه في بضعه وعشرين يومًا.
- السحاب الأحمر وكتبه في شهرين.
- أوراق الورد: رسائله ورسائلها.
- على السفود: وهي مقالات في نقد بعض نتاج العقاد الأدبي.

وفي سؤال لأحدهم يريد امتلاك ناصية الأدب قال له: ينبغي أن تكون لك مواهب وراثية تؤديك إلى هذه الغاية وهي ما لا يعرف إلا بعد أن تشتغل بالتحصيل زمنًا، فإن ظهر عليك أثرها وألا كنت أديبًا كسائر الأدباء الذين يستعيضون من الموهبة بقوة الكسب والاجتهاد، فإذا رغبت في أقرب الطرق إلى ذلك

فاجتهد أن تكون مفكرًا منتقدًا، وعليك بقراءة كتب المعاني قبل كتب الألفاظ، وادرس ما وصل إلى يدك من كتب الاجتماع والفلسفة الأدبية في لغة أوربية أو فيما عُرِّب منها، واصرف همك من كتب الأدب العربي بادي ذي بدء- إلى كتاب كليلة ودمنة والأغاني ورسائل الجاحظ وكتاب الحيوان والبيان والتبيين له وتفقه في البلاغة بكتاب «المثل السائر» وهذا الكتاب وحده يكفل لك ملكة حسنة في الانتقاد الأدبي، ثم عليك بحفظ الكثير من ألفاظ كتاب «نجعة الرائد» لليازجي «والألفاظ الكتابية» للهمذاني، وبالمطالعة في كتاب «يتيمه الدهر» للثعالبي «والعقد والفريد» لابن عبد ربه وكتاب «زهر الآداب» الذي بهامشه.

وأشير عليك بمجلتين تعني بقراءتهما كل العناية «المقتطف والبيان» وحسبك «الجريدة» من الصحف اليومية «والصاعقة» من الأسبوعية ثم حسبك ما أشرت عليك به فإن فيه البلاغ كله، ولا تنس شرح ديوان الحماسة وكتاب نهج البلاغة فاحفظ منهما كثيرًا، ورأس هذا الأمر بل سر النجاح فيه أن تكون صبورًا، وأن تعرف أن ما يستطيعه الرجل لا يستطيعه الطفل إلا متى صار رجلاً، وبعبارة صريحة إلا من انتظر سنوات كثيرة، فإن دأبت في القراءة والبحث وأهملت أمر الزمن- طال أو قصر- انتهى بك الزمن إلى يوم يكون تاريخًا لمجدك وثوابًا لجدّك.

- وفي طلب لأحد تلامذته يطلب النصح في كتابه الأسلوب البليغ وكيفية القراءة قال له: «لقد تخيلت كثيرًا في الوصية التي تطلبها، وما أشبهك برجل لا يصلى ولا يصوم ولا يؤتي الزكاة ولا يحج ثم يريد أن يخرج كفارة تسقط عنه كل ذلك، ويبقى وادعًا مستريحًا وله ثواب الصائم بدريهمات معدودة، الإنشاء لا تكون القوة فيه إلا عن تعب طويل في الدرس وممارسة الكتابة والتقلب في مناحيها والبصر بأوضاع اللغة، وهذا عمل كان المرحوم الشيخ محمد عبده يقدر أنه لا يتم للإنسان في أقل من عشرين سنة.

فالكاتب لا يبلغ أن يكون كاتبًا حتى يبقى هذا العمر في الدرس وطلب الكتابة فإذا أوصيتك فإني أوصيك أن تكثر من قراءة القرآن ومراجعة «الكشاف» [تفسير الزمخشرى] ثم إدمان النظر في كتاب من كتب الحديث كالبخاري أو غيره، ثم قطع النفس في قراءة آثار «ابن المقفع» «كليلة ودمنة واليتيمة والأدب الصغير» ثم رسائل الجاحظ وكتاب البخلاء، ثم نهج البلاغة، ثم إطالة النظر في كتاب «الصناعتين» و«المثل السائر» لابن الأثير، ثم الإكثار من مراجعة «أساس البلاغة» «للزمخشرى»، فإن نالت يدك مع ذلك كتاب «الأغاني» أو أجزاء منه «والعقد الفريد» و«تاريخ الطبري» فقد تمت لك كتب الأسلوب البليغ.

اقرأ القطعة من الكلام مرارًا كثيرة ثم تدبرها وقلب تراكيبها ثم احذف منها عبارة أو كلمة وضع ما يسد مسدها ولا يقصر عنها، واجتهد في ذلك فإن استقام لك الأمر فترقّ إلى درجة أخرى وهي أن تعارض القطعة نفسها بقطعة تكتبها في معناها وبمثل أسلوبها فإن جاءت قطعتك ضعيفة فخذ في غيرها ثم غيرها حتى تأتي قريبًا من الأصل أو مثله.

اجعل لك كل يوم درساً أو درسين على هذا النحو فتقرأ أولاً في كتاب بليغ نحو نصف ساعة ثم تختار قطعة منه فتقرأها تقتلها قراءة ثم تأخذ في معارضتها على الوجه الذي تقدم واقطع سائر اليوم في القراءة والمراجعة.

ومتى شعرت بالتعب فدع القراءة أو العمل حتى تستجم ثم ارجع إلى عملك ولا تهمل جانب الفكر والتصوير وحسن التخييل.

هذه هي الطريقة ولا أرى لك خيرًا منها، وإذا رزقت التوفيق فربما بلغت مبلغًا في سنة واحدة، وأول رأيك أن تستفيد وآخر رأيك أن تجتهد.

هذا هو الرافعي حامل الشهادة الابتدائية فقط وليس خريج السوربون أو هار فارد.

وفي كلمة له للشباب العرب يشحذ بها هممهم ليستعيدوا

الأمجاد (جاء في بعض منها):

«..... ويقولون: إنه لابد في الشرق من آلتين للتخريب: قوة أوربا ورذائل أوربا.. يا شباب العرب من غيركم يكذب ما يقولون ويزعمون على هذا الشرق المسكين؟ من غير الشباب يضع القوة بإزاء هذا الضعف الذي وصفوه لتكون جوابًا عليه؟ من غيركم يجعل النفوس قوانين صارمة تكون المادة الأولى فيها: قَدَرْنا لأننا أردنا إلا إن المعركة بيننا وبين الاستعمار معركة نفسية إن لم يقتل فيها الهزل قتل فيها الواجب! الشباب هو القوة، فالشمس لا تملأ النهار في آخره كما تملؤه في أوله، وفي الشباب نوع من الحياة تظهر كلمة الموت عنده كأنها أخت كلمة النوم، وللشباب طبيعة أول إدراكها الثقة بالبقاء فأول صفاتها الإصرار على العزم، وفي الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة أثمارها وبعد ذلك لا تصنع الأشجار كلها إلا خشبًا».

يا شباب العرب اجعلوا رسالتكم: إما أن يحيا الشرق عزيزًا وإما أن تموتوا.. يا شباب العرب لم يكن العسير يعسر على أسلافكم الأولين كأن في يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها، أتريدون معرفة السر؟ السر أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق فصاروا عملاً من أعمال الخالق، غلبوا على الدنيا لما غلبوا في أنفسهم معنى الفقر ومعنى الخوف والمعنى الأرضي، وعلمهم

الدين كيف يعيشون باللذات السماوية التي وضعت في كل قلب عظمته وكبرياءه، واخترعهم الإيمان اختراعًا نفسيًّا علامته المسجلة على كل منهم هذه الكلمة: لا يذل.

يا شباب العرب كانت حكمة العرب التي يعملون عليها: اطلب الموت توهب لك الحياة، والنفس إذا لم تخش الموت كانت غريزة الكفاح أول غرائزها تعمل وللكفاح غريزة تجعل الحياة كلها نصرًا إذا لا تكون الفكرة معها إلا فكرة مقاتلة.

غريزة الكفاح يا شباب هي التي جعلت الأسد لا يسمن كما تسمن الشاة للذبح.

وإذا انكسرت يومًا فالحجر الصلد إذ ترضرضت منه قطعة كانت دليلاً يكشف للعين أن جميعه حجر صلد؟

فالقوة القوة يا شباب: القوة التي تقتل أول ما تقتل فكرة الترف والتخنث.. القوة الفاضلة المتسامية التي تضع للأنصار في كلمة (نعم) معني نعم الصارمة النفاذة التي للأعداء في كلمة (لا) معني لا.

يا شباب العرب اجعلوا رسالتكم: إما أن يحيا الشرق عزيزًا وإما أن تموتوا .....

عاش الرافعي لفنه ولنفسه من أول يوم، فما عاقته الوظيفة

عن أن يكون كما أراد أن يكون، على أنه كان إلى اهتمامه بفنه وعنايته بما يكمله كان دقيقًا في عمله الرسمي فكان لا يفوته شيء مما يسند إليه حتى آل إليه الأمر إلى أن يكون المرجع في هذا العمل لوزارة العدل نفسها وليس في محيط دائرته ومحكمته فقط، وقد طلب أكثر من مرة أن يُحال إلى المعاش ليتفرغ لفنه فما كان يمنعه من المضي في طلبه إلا رجاء موظفي المحكمة وإلحاحهم عليه أن يبقى لئلا يخلو موضعه.

- كان يعتد بنفسه ويحافظ على كرامته بحيث لا يسمح لرئيس مهما علا منصبه وارتفع مكانه أن يجحد منزلته أو ينال منه أي نيل.

* فكان من تقاليد المحكمة كلما نُقل إليها قاضٍ أن يهرع إليه الموظفون ليهنئونه ولكن الرافعي كان يتخلف ويظل وحده في مكتبه، فإذا فرغ القاضي من استقبالهم مضى إلى مكتب الرافعي في حجرته فيقفان لحظة يتبادلان الشكر والتهنئة والتعارف، ثم يذهب إليه الرافعي بعد ذلك إلى مكتبه ليشكر له ويكرر التهنئة.

* وفي يوم ذهب إلى أحد رجال الحاشية في الديوان الملكي وهو الإبراشي باشا، وكان ذا منصب وسطوة في القصر الملكي، قدم الرافعي البطاقة إلى الساعي ودعاه للانتظار دقائق وطال به

الانتظار ساعة وساعة، فقام يسأل لعله نسي فعاد مساعده يقول له: الباشا يعتذر إليك اليوم ويسألك أن تمر غدًا في الساعة كذا، ذهب الرافعى فلما كان وفاة أمين الرافعى ابن عمه فظل في الجنازة والدفن ثم نهض مسرعًا إلى القصر وفاءً بوعده وجعل الوفاء بالوعد فوق ما عليه من الواجب (والميت هذا زعيم من زعماء الوطنية) ووقف ينتظر الإذن بالدخول فطال الوقت ثلاث ساعات في انتظار، فهاجت ثورته وكبرياؤه وبلغ به الحنق مداه فنهض ودفع الباب بعصاه ولم يعبأ أو يكترث بضيوف الباشا من الأجانب فقال ما قال وانتصف لنفسه وثأر لكبريائه حتى خرج عن حدود الأدب (كما قال هو بنفسه) فحفظ كرامته وصان نفسه، ولم يغضب الباشا ولم يعتب بل اعتذر وألح في الاعتذار.

* وقال قائل من خصومه: إنه يقاسي في هذه الكتابة ما تقاسي الأم من آلام الوضع....

فقام الرافعى وقال: «أتحداك أن تأتي بمثلها أو بفصل من مثلها وعلى نفقات القابلة والطبيبة متى ولدت بسلامة الله» .

الرافعى في بيته :

* كان الرافعى يعيش في بيته حياة مثالية عالية فهو زوج كما يجب أن يكون الزوج، وأب كما ينبغي أن يكون الأب، هذا

الجبل الشامخ الذي يهاجم خصومه ويضربهم ضربات ينخلع لها قلب الشجاع مهابًا من الأعداء والأصدقاء على السواء يلين رحمة وحبًّا أمام أسرته، كان يدرك حجم الأمانة الكبيرة التي على عاتقه، وكذلك كانت أسرته على علم بما عليهم تجاه هذا الرجل الكبير فيهيئون أسباب الهدوء والراحة والاطمئنان، ولم يكن هذا على حساب وقته لأولاده فكان يقوم بواجبه نحوهم بالتهذيب والرعاية والإرشاد، وينصح برفق حين يحسن الرفق، مؤدبًا بعنف حين لا يجد إلا الشدة والعنفوان.

وكان الرافعي معنيًّا بمستقبل أولاده عناية كبيرة فكان يحملهم على العمل بوسائل شتى، وكثيرًا ما كان يرسم لهم الخطة للتحصيل والمذاكرة، ومن أجل أولاده أنشأ كثيرًا من المقالات عن عيوب الامتحان لمناسبات مختلفة كان ينشرها في «المقطم» وكانت له طلبات ومقترحات إلى وزارة المعارف أجابت أكثرها.

* وكان ولوعًا بالرياضة البدنية من بداية نشأته يعالج أسبابها في أوقات رتيبة، وكان المشي الطويل أحب رياضة له وقد رآه أحد تلاميذه يمشي بعد الفجر ويبلل كفه بأنداء الفجر على أوراق البرسيم فيمسح بها وجهه وهو مغتبط مسرور فعندما سأله عما يفعل قال: هذه رياضة تحلو لي كثيرًا فما أتركها إلا لعارض بل إني ليطيب لي أحيانًا أن أخرج من البيت قبل الفطور لأجول هذه الجولة

ثم أعود لأفطر وأخرج إلي الديوان، أما الندى الذي يغسل به وجهه فقال عنه: إنه ينضر الوجه ويرد الشباب.

وكان من الطبيعي أن تجد بمكتبه «عقلة» تتدلى من السقف وكرات من الحديد لرفع الأثقال وكان من أصدقائه أبطال المصارعة المصرية في ذاك الوقت، وكان سباحًا ماهرًا وله مقالات مشهورة عن الرياضة البدنية.

وكان في مكتبه ثلاث صور لا تجتمع في مكان هي: صورة الشيخ محمد عبده، والرياضي الفرنسي صاندو، وكريمان هانم خالص ملكة الجمال التركية، وعندما سُئل عن هذا الازدواج البين في الشخصية، قال: صورتا الشيخ محمد عبده والرياضي صاندو .... قوتان تعملان في نفسي: قوة في روحي وقوة في جسمي، صورة كريمان هانم... أقرأ الشعر مسطورًا على جبينها.

إنه رجل:

* قال: لو أنني سئلت أن أُجمل فلسفة الدين الإسلامي كلها في كلمتين لقلت إنها: ثبات الأخلاق.

* اشترط مهمة الأدب أن يوافق السلوك والتطبيق قائلاً بأدب النفس قبل أدب الدرس وأن من شك في إيمانه يجب أن لا تأخذ عنه إلا ما صح عند سليم العقيدة.

* كان يؤكد على القراءة فيقول: اقرأ ما تصل إليه يدك فهي

طريقة شيخنا الجاحظ، وليكن غرضك من القراءة اكتساب قريحة مستقلة وفكر واسع وملكة تقوى على الابتكار فكل كتاب يرمي إلى إحدى هذه الثلاث فاقرأه.

* طبيعة الرضا بما هو كائن، فكان دائمًا منبسط الوجه يقنع نفسه في كل يوم بأنه في أسعد أيامه، كان يؤمن بحكمة القدر وأن قانون التعويض يجعل الإنسان أقوي على مكافحة أحداث الزمن فلا تأخذ منه النوازل بقدر ما تعطيه.

* كان إذا عاني من ضيق يقرأ القرآن أو ينظر في كتاب من كتب السيرة النبوية فينفرج همه ويزول ما به ويهون عليه ما يلقى من دنياه.

* كافح الفقر والمرض وشئون العيال والأولاد وبذل نفسه لينشئ أدبًا يسمو بضمير الأمة ويشرع لها طريقًا تسير فيه إلى عظمة الخلد وسعادة الأبدية ومجد التاريخ.

* سُئل: هل تكره الموت؟ فقال: لا، بل أكره ذنوبي، أما الموت فهو اكتشاف العالم الأكبر نسأل الله حسن الخاتمة.

فقيل له: ما هي وصيتك إذا حضرتك الوفاة؟

فقال: هي تكرار المبدأ الذي وضعته لأولادي: النجاح لا ينفعنا بل ينفعنا الامتياز في النجاح.

* قال: في حياة هذه الأمة رجلان: رجل أتى بها من الجنة ورجل يعيدها ثانية إلى الجنة، فالأول سر وجوده والثاني سر كمالها ﷺ.

❖ ولذا قالوا عنه:

- **الشيخ محمد عبده:** «ولدنا الأديب الفاضل مصطفى أفندي صادق الرافعي: زاده الله أدبًا لله ما أثمر أدبك ولله ما ضمن لي قلبك، لا أقارضك ثناء بثناء فليس ذلك شأن الآباء مع الأبناء، ولكني أعدك من خلص الأولياء وأقدم صفك على صف الأقرباء وأسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفًا يمحق الباطل وأن يقيمك في الأواخر مكان حسان في الأوائل، والسلام».

- **الزعيم مصطفى كامل:** «قرأت «إعجاز القرآن» فإذا هو أبلغ ما كتب مخلوق في كلام الخالق فإن ما جلوت من البيان لمن الإلهام الذي يعلو على التصرف ويجل عن التأليف».

- **الزعيم سعد زغلول:** «سيأتي يوم إذا ذكر فيه الرافعي قال الناس: هو الحكمة العالية مسوغه في أجمل قالب من البيان».

- **الأستاذ العقاد:** «إني كتبت عنه- أي عن الرافعي- أن له أسلوبًا جزلاً وأن من بلاغة الإنشاء ما يسلكه في الطبقة الأولى من كتاب العربية المنشئين».

- **د. طه حسين:** «..... كذلك تظلم الأستاذ الرافعي إن قلت إن حظه من العلم باللغة العربية وآدابها وبدقائقها وأسرارها قليل، وإنما الحق أن الذين يعلمون هذه اللغة- كما يعلمها الأستاذ الرافعي- قليلون جدًّا وأحسبهم يحصون، والحق أن الذين يظهرون على أسرار هذه اللغة -كما يعلمها الأستاذ الرافعي- قليلون جدًّا وأحسبهم يحصون أيضًا».

- **الأستاذ محمد عبد القادر المازني:** «لقد كان يوصف في حياته بأنه حجة العرب.....».

- **د. مصطفى الشكعة:** «..... لم يكن كاتب الفكرة الإسلامية وحسب، ولم يكن رائد الدعوة المؤمنة وحسب وإنما كان سببًا لهداية كثير من كبار كتاب العربية المعاصرين له فأصبحوا بفضل دعوته ومن بعده كتابًا مؤمنين وسدنة في محراب الفكر الإسلامي بعد أن كانوا في طرف آخر بعيدين كل البعد عن نطاق العقيدة وجوهر الفكرة

الإسـلامية.... كـان خادمًـا للعقيـدة الإسـلامية رحمـه الله، كـان رجـلاً للـدين واللغـة العربيـة، هيهات أن تجد بديلاً منه أو ينقضي زمان من عمر التاريخ، رجـل أصـم لم يبتعـد عـن الحياة بسبب عجـز أصـابه أو فقـر عـاش فيـه أو قلـة تعلـيم حصلها، وإنما كان رجلاً يافعًا نافعًـا مـدافعًا عـن الدين والعقيـدة، كـان رجـلاً فارسًـا بقلمـه تحـت راية القرآن».

* * *

عملاق في عالم الأقزام
على عزت بيجوفيتش

- رجل تاريخ من النضال.
- سيد قطب أوربا.
- مناضل مجاهد، رئيس سياسي محنك.
- مناضل في عصر يراد فيه ألا يكون رفع السلاح من جانب من يعتدون على الإنسان وحرياته وحقوقه في كل مكان.
- مفكر سياسي في حقبة كثر فيها أولئك الذين لا يعرفون عن السياسة، إلا أن يسجنوا الفكر وراء القضبان، وأن يدوسوا على كرامة الإنسان.
- زعيم وصل إلى الذروة وفق إرادة شعبه بين زعماء لا يستطيعون الاحتفاظ بكراسيهم إلا من خلال قهر إرادة شعوبهم.
- عندما سأل الرئيس عبد الناصر رفيقه تيتو عن بيجوفيتش أجابه بأنه رجل أخطر من

> **تنظيم الإخوان المسلمين في مصر؛ لأنه يطالب بأن تتولى الحركة الإسلامية السلطة في أي بلد لها الأكثرية فيه فماذا أفعل حيال ذلك؟ رد عليه عبد الناصر: لا شيء سواء أن تجمعهم (هو والشباب المسلمين) تحت سقف واحد ثم تهدمه عليهم.**

- ولد الرئيس على عزت في أسرة عريقة في إسلامها، وحصل على شهادة عليا في القانون ثم نال شهادة الدكتوراه وشهادة عليا في الاقتصاد، يقرأ ويتحدث ويكتب باللغات الأجنبية: الألمانية، والفرنسية، والإنجليزية مع إلمام جيد بالعربية.

- تعلم في سراييفو في مدرسة ثانوية ألمانية عُرفت بمنهجها الأكاديمي الصارم وتفتحت في تلك الفترة المبكرة مواهبه وتعطشه للإسلام، فأسس مع بعض من زملائه- وعمره حينئذ ١٦ عامًا- ناديًا مدرسيًّا للمناقشات الدينية أطلقوا عليه «جمعية الشبان المسلمين» كان يمتلك طاقة فكرية كبيرة اقترنت بحيوية الشباب ولذلك تطورت الجمعية من النقاش إلى العمل فقامت بأعمال تعليمية وخيرية، وأنشأت قسمًا للفتيات المسلمات

وقدمت خدمات ومساعدات أثناء الحرب العالمية الثانية للمحتاجين.

سعت جمعية الشبان المسلمين التي ساهم في تكوينها إلى بناء شخصية مسلمة تستطيع أن تتعايش مع الواقع الأوربي وتأثرت الجمعية بأفكار الطلاب البوسنيين الذين درسوا في الأزهر الشريف، وتأثروا بأفكار جماعة الإخوان المسلمين وخرجت الجمعية برؤية مفاداها أن الإسلام أيديولوجية يجب أن تكون واقعًا في الحياة وليس دينًا ينحصر في حدود الفرد والعبادات فقط، وبهذا الفهم نظرت الجمعية للإسلام.

وقفت الجمعية موقفًا حازمًا من النازية ونادت بتحريم التحاق الشباب المسلم بالحركة النازية فتم رفض الترخيص للشبان المسلمين عقابًا لهم، ثم جاءت الشيوعية على يوغسلافيا فتعرض على عزت أثناء دراسته القانون للاعتقال والسجن أكثر من مرة.

لم يسكن للقيود وضيق هوامش الحرية ولكنه راح يذيب الجليد بين المثقفين والمسلمين وعلماء الدين الرسميين لإيجاد هوامش مشتركة للتعايش والعمل للإسلام بعيدًا عن ضغوط الإلحاد الشيوعي، وهذا ما مكنه من نشر مقالات ذات عمق

وتأثير في إيقاظ الوعي والهوية لمسلمي البوسنة، وتم جمع هذه المقالات في كتاب أسماه «البيان الإسلامي» أثار ضجة كبيرة، واتهم بأنه يسعى لتكوين جمهورية أصولية إسلامية في قلب أوربا فتم القبض عليه وحوكم محاكمة صورية، وصدر عليه الحكم بالسجن ١٤ عامًا فانتشر الكتاب في نطاق واسع وانتشرت أفكار الرجل من حيث لا يدري.

- كانت فترة سجنه عميقة التأثير في حياته وشخصيته فكانت فترة تفكير وتأمل طويل وعميق، كما أعطاه السجن صلابة وقوة وأعطاه فرصة للتفكير أكثر من الكلام.

في فترة سجنه ظهر كتابه «الإسلام بين الشرق والغرب» وكان يهدف إلى تقديم الإسلام بصورته النقية إلى الأجيال الجديدة وأن الإسلام هو الأيدولوجيا الوحيدة ذات القطبية الثنائية: المادة والروح، ومن ثم فإن تطبيق النموذج الإسلامي لا يمكن أن يتم إلا في مجتمع متقدم.

- خرج من السجن وسط تصدع الشيوعية وصعود القوميات مكانها، فأسس حزب العمل الديمقراطي، وفي الانتخابات التالية هزم الشيوعيين وتولى رئاسة البوسنة، وبدأت المشاعر المتطرفة في حالة صعود يغذيها القوميون المتطرفون وبدأ

الاتحاد اليوغسلافي في التفسخ، وأدرك هو أن حربًا أهلية عرقية قادمة وأن البوسنة من المحتمل أن تكون صفقة بين الصرب والكروات، لذلك سعى لتجنب هذا المصير وتقدم بحل وسط وهو الفيدرالية المتناسقة، ورفض الاقتراح وبدأت المحنة والتطهير العرقي للبوسنة وكان لابد من استفتاء للاستقلال، فخطب في تلفزيون البوسنة خطابًا قويًّا دعا فيه المسلمين وغيرهم للخروج للإدلاء بأصواتهم دون خوف وقال: «لقد انتهى إلى الأبد ذلك الأوان الذي يتقرر فيه مستقبل البوسنة دون إرادة مسلميها» ونزل بنفسه إلى الشارع للإدلاء بصوته حتى يكسر الخوف في نفوسهم وكان له ما أراد ولكن ساعات وبدأت الحرب العرقية.

واضطر إلى التوقيع على اتفاق «دايتون» الذي أعطى المسلمين والكروات ٥١٪ من مساحة البوسنة ومنح صرب البوسنة ٤٩٪ من المساحة، اتفاق ظالم حال دون استقلال البوسنة بالكامل وضيع ما يقرب من ثلثي مساحتها ولكنه قال: «هذا ليس أفضل ما نحصل عليه ولكن شيء أحسن من لا شيء».

- كانت حرب البوسنة وصمة عار خسر المسلمون فيها

حـوالي ٣٥٠ ألـف قتيـل وتـم اغتصـاب عشرات الآلاف مـن النساء، ظل هو صلبًا في قلب هذه المأساة ولم يترك شعبه ليواجه هذا المصير المؤلم بل أصر على البقاء معه تحت الحصار، وعنـدما أراد الخروج للبحث عن دعم القضية بمغامرة جريئة حتى يخرج ويخاطب العالم فنزل في نفق طويـل أسفل المطار الـذي يسيطر الصرب عـلى النقـاط الإسـتراتيجية حولـه، نفـق معـد لإخـلاء الجرحـى ونقـل الـذخيرة عـلى سـكة حديـد صـغيرة وعربـة مـن عربات منجم الفحم، تم فرش العربة ووُضع الرئيس عليها وتم دفعة من أول النفق إلى آخره من الجهة الأخـرى، وكانـت جولـة عظيمة استطاع بفضـل الله بهـا أن يوقـف الحـرب مـع الكـروات والحصول على كافة المساعدات الدولية.

- إنهـا حـرب لا يريـدونها ولكنهـا فرضـت علـيهم فرضًـا، ولكـنهم في الوقـت نفسـه لا يقبلـون بمواقـف العجز والتسـليم والتنازل والتراجع.

* ثلاثـة أعـوام حرمـت خلالهـا البوسـنة والهرسـك مـن السلاح ولم تُحرم الإرادة، وحرمـت من الـدعم المـالي والمعنوي الخارجي ولم تمنع من الاستعداد للتضـحية في القتـال المفـروض عليها فرضًا، وحوصرت بمسلسل المؤتمرات الدوليـة وقطعـت

مـؤتمرات الـدول العربيـة والإسـلامية عنهـا كـل عـون باسـتثناء البيانات الكلامية والإدانة والشجب.

يقول: «لو لم يكن الليل لكنا عاجزين عن رؤية السماء ذات النجـوم، وهكـذا يجردنـا الضـوء مـن بعـض الرؤيـة في حـين أن العتمة والظلام يساعداننا في أن نرى شيئًا».

كلمات رقيقة وعميقة قالها في كتابه «هروبي إلى الحرية» الذي كتبه في السـجن، تصـوير دقيـق لشخصـية رجـل أوضـح مأسـاة البوسنة وليلها الطويل الكئيب، فأعاد اكتشـاف الهويـة والـذات وربطهم بالإسلام والحرية وكشف عـن صـلابة شـعب وقدرتـه على التضحية بعدما كانت الشيوعية والديكتاتورية تذيب معالمه وملامحه.

ويقـول: «لكـي نفهـم العـالم فهـمًا صـحيحًا لابـد أن نعـرف المصـادر الحقيقيـة للأفكـار التـي تحكـم هـذا العـالم وأن نعـرف معانيها».

ويقول: «أولويات الإنسان: عندما تكون في السجن تكون لك أمنية واحدة هي الحرية، وعندما تمرض في السـجن لا تفكـر في الحرية وإنما في الصحة، فالصحة تسبق الحرية».

ويقول: «الحياة: الحياة شيء خطير وعدم الاستقرار هو ثمن العيش، والذين يموتون هم الذين يشعرون بالاستقرار أو هم الذين لم يولدوا».

ويقول: «الدين والأخلاق: كل دين بوصفه ظاهرة تاريخية له جانبان: تعاليم هي وحى إلهي وتجربة من عمل الإنسان، وفي هذا الاختلاط بين التعاليم والتطبيق يحدث الانحراف والخطأ».

ويقول: «النظام الميكانيكي يعمل بلا معنى على طريقة الساعة والأفكار الأخلاقية هي وحدها لها معنى حقيقي وهي: الخير والشر والصبر والطاعة والثورة والحياء والشرف والكرامة والأسف والعقوبة والجائزة والخوف والوفاء والخيانة».

ويقول: «سأضحي بالسلام من أجل وحدة البوسنة والهرسك، لكن من أجل هذا السلام في البوسنة لن أضحي بالوحدة الوطنية».

وعندما جاءه الوسطاء الدوليون ليخبروه بأن الصرب يحاصرون سرايفو وعليه النظر في الموضوع قال لهم: «إنهم يريدون منا الاستسلام» وكان ردهم: ليس لك خيار، فقال: «سنقاوم حتى آخر رجل وآخر رصاصة».

ويقول: «حقيقة ليس لدينا القوة الكافية على المعتدين وكما

أن أعداءنا ليس لهم القوة الكافية لإبادتنا عن بكرة أبينا».

«وعندما حاول البعض اختبار مدى إيمانه بالحرية والعدالة عندما كان رئيسًا وبدؤوا يهاجمونه على صفحات الصحف بطريقة غير لائقة لم يزد على أن أرسل ردًا لنفس الجريدة راجيًا نشره».

ويقول: «هدفنا هو أسلمة المسلمين ووسائلنا هي الإيمان والكفاح».

ويقول: «الإسلام ليس مجرد دين أو طريقة الحياة فقط وإنما هو بصفة أساسية مبدأ تنظيم الكون، فكما أن الإنسان هو وحده الروح والجسد فالإسلام وحده بين الدين والنظام الاجتماعي، وكما أن الجسم في الصلاة يمكن أن يخضع لحركة الروح فإن النظام الاجتماعي يمكن أن يخدم بدوره المثل العليا».

ويقول: «لا يحتوي القرآن على حقائق علمية جاهزة ولكنه يتضمن موقفًا علميًا جوهريًا اهتمامًا بالعالم الخارجي وهو أمر غير مألوف في الأديان».

ويقول: «إن آيات القرآن توقظ الفضول الفكري وتعطي قوة للعقل المكتشف».

ويقول: «إن أكبر إخفاق لي هو عدم استطاعتي الوصول بالبوسنة إلى مصاف الدول الغنية الموحدة كما كنت آمل».

ويقول: «البحث عن المصائب ليس شجاعة وإنما غباء، الشجاعة هي الاستعداد لمواجهة المصائب التي لا مهرب منها برباطة جأش».

ويقول: «الذكي يعرف متى يتحدث والحكيم يعرف متى يصمت».

ويقول: «يعتقد بعض الناس أن انتماءهم الديني يعفيهم من مسئوليه التفكير».

ويقول: «إذا كان من الممكن استلام السلطة بالوعود فإن المحافظة عليها لا تكون إلا بالنتائج».

ويقول: «الوطني الأصيل ليس الذي يرفع وطنه فوق الآخرين، وإنما ذلك الذي يعمل على أن يكون وطنه مستحقًّا لهذا الفخر وأن يكون هدفه كرامة وطنه أكثر من الفخر به».

ويقول: «تفهم الأنظمة الشمولية بسرعة أن الأغبياء وغير المؤهلين والخائفين لا يشكلون خطرًا ولذلك يساندونهم ويشجعونهم».

ويقول: «طوال الفترة التي يكون فيها الدكتاتور حيًّا يكون خالدًا».

ويقول: «علينا ألا ننسى أن سيدنا محمدًا ﷺ خاض معارك مع عبدة الأصنام ولكن فاوضهم أيضًا».

ويقول: إذا كان العالم لا يناسبكم فغيره لكي يناسبكم، العقلاء يفعلون ذلك.

ويقول: «من المضحك أن بعض الناس يطالبون بإصرار بحق وعندما يحصلون عليه ويمتلكونه لا يستعملونه».

قالوا عنه:

- **المفكر الأوربي المحايد «وود وورث كارلسن»:** إن تحليله للأوضاع الإنسانية مذهل وقدرته التحليلية الكاسحة تعطى شعورًا متعاظمًا بجمال الإسلام وعالميته.

- **د. عبد الحليم عويس** معلقًا على كتابه «الإسلام بين الشرق والغرب»: إن هذا الكتاب يبشر بعصر جديد ذي أعماق ثقافية موسوعية عالمية في الكتابة الإسلامية وفي أسلوب الحوار مع الآخرين بعامة ومع الحضارات بخاصة.

- **أ. فهمي هويدي:** بهرتني ثقافته العريضة وفهمه العميق

للإسلام وإحاطته الواسعة بالعلوم الحديثة وأثارت دهشتي أعصابه الحديدية وحكمته البالغة.

- **ديان جونسنون** «كاتبة»: بطل إسلامي للعالم الغربي.

- **سليمان تيهيتش** «الرئيس البوسني الأسبق»: هناك أمران مهمان هما: أن على عزت بيجوفيتش دخل التاريخ من أبوابه الواسعة وهو شخصية تاريخية تركت بصماتها الواضحة على تاريخ البوسنة والهرسك وما حولها إضافة لإسهاماته الفكرية على صعيد حوار الحضارات وقضايا الفكر الإسلامي والديمقراطية والنضال من أجل الحق والعدالة والحرية والعمل الإنساني، وكان لتأسيسه حزب العمل دور كبير في استقلال البوسنة وقيادة شعبها في معركة البقاء وقيام الدولة، وهو اليوم حزب قوي ومحوري في البوسنة، وكما كان الحزب في حياته قويًا فهو اليوم أقوى من ذي قبل، لم يكن على عزت بيجوفيتش المقاتل الوحيد ولا الشخصية الوحيدة التي دافعت عن البوسنة ولكنه كان المقاتل والشخصية الأهم والمحورية في معركة الوجود والنضال وبناء الدولة، لقد خرج من هذه الدولة منتصرًا لأنه استنفد كل طاقته وفي أحرج الأوقات من أجل تحقيق الهدف الذي رسمه لحياته الخاصة ولنضاله ولسياسته، كان شعاره الحرية والعدالة والعمل من أجل تحقيق ذلك وبرهن على

صدق إيمانه بعاملين هما شرط كل تقدم ترنو إليه الشعوب، إن علي عزت بيجوفيتش كان على حق عندما وقع على اتفاقيه «دايتون» فقد كان يؤمن بأن إتفاقًا غير منصف أفضل من استمرار الحرب، كما يعلم أن المستقبل سيصلح جميع الأخطاء وهو ما تؤكده الأيام.

- **د. مصطفى تسيريتش** «مفتي البوسنة»: بيجوفيتش كان على حق كان يؤمن بالله وشجاعًا دافع ببسالة عن حقوق شعبه في البقاء والحرية والسيادة، أكد بأننا لا نكون عبيدًا سوى لله سبحان وتعالى، بالنسبة للمسلمين فإن حياة علي عزت كانت رمزًا للانعتاق والحرية.

- **حارث سيلاجيتش «رئيس الوزراء البوسني الأسبق»:**

كنت أسعد بلقائه والحديث معه سواء اتفقت معه في ذلك أم لا، وفي أثناء فترة عملي معه اكتشفت أن الرجل لا يحمل في صدره أي ضغينة لأحد ويحترم كل الآراء لكنه في الوقت نفسه يحيل الخلافات في وجهات النظر لآليات حلها أو الحسم فيها، كان يتمتع برباطة جأش وروح هادئة في أصعب الأوقات وأكثرها قتامة.

- **د. أسعد دورا كوفيتش** «الأستاذ بكلية الفلسفة في

سراييفو والحاصل على جائزة اليونسكو لخدمة الثقافة العربية»

حياة على عزت بيجوفيتش كانت قد نضجت على الآلام ورغم ذلك لم تدفعه لمواقف غير محسوبة بل أنضجت أفكاره وممارساته، ولذلك لم يتهيب النار من أجل إنقاذ شعبه من المحرقة وقد تمكن من تحرير الشعب ومنحه الحرية حتى في نقد على عزت بيجوفيتش نفسه، وهذا ما يختلف فيه عمن يزعمون أنهم وهبوا الحرية لشعوبهم.

- وحين تم سؤال ابنه بكر عما تعلمه من والده قال: «إذا لم تستطع جعل العدو صديقًا فليس أقل من تخفيف عداوته لك».

وعن الأوقات التي شعر فيها بالحاجة إليه أكثر قال: «كان ذلك في عام ١٩٨٣م عندما سجن رحمه الله ١٤ عامًا، وقد شعرت بألم عميق لذلك، كنت متزوجًا ولي طفل ولم أكن أعمل ولم يكن لدي بيت وكانوا ينظرون إليَّ كابن عدو النظام الشيوعي في ذلك الوقت، ثم شعرت نفس الشعور في ١٩ أكتوبر ٢٠٠٣م حيث لن أرى والدي إلا يوم القيامة».

وقال عن وفاته: «عندما توفي أحسست بأن شيئًا من كياني قد فقدته فقد كان يمثل جزءًا مهمًا من حياتي، فالوالد كان صديقًا لي بدون أعباء الصداقة وكان يريد لي وللآخرين الخير أكثر من نفسه».

* إنه رجل كان يرى أنه لتجاوز المصاعب الحالية لابد أن ينتظم ملايين المسلمين في وحدة جامعة متينة، وأن يخرج المسلمون من دائرتهم الموصوفة بالتخلف والفقر والاعتماد على الآخرين، وطالب بإقامة الإسلام على كل الأصعدة لدى الأفراد وفي إطار العائلة والمجتمع ومن خلال العودة إلى العقيدة الإسلامية وإقامة مجتمع إسلامي موحديين المغرب وإندونيسيا، ووجه نداءه إلى المسلمين قاطبة قائلاً: قد يبدو الهدف الذي نصبو إليه بعيد المنال لكنه واقعي وحقيقي لأنه يقع ضمن البعد الممكن التحقيق ولابد من الاعتماد على القرآن الذي يعتبر منهاج حياة يقتضي أن يترجمها المسلمون إلى حيز الواقع.

* إنه رجل حين أمسك المسلمون البوسنيون بزمام المعركة أول أكتوبر ١٩٩٤م وشرعوا يحررون الأرض من الاحتلال الصربي ويوقعون بهم الهزيمة تلو الأخرى كانت تعليماته هي: الجنود المسلمون يحاربون باسم الله فلا انتقام ولا معاملة بالمثل ولا تمثيل بالجثث ولا قتل الأنفس البريئة من الذين لم يحملوا السلاح، ولا اعتداء على الأطفال والنساء والشيوخ ولا حرق البيوت والزرع ولا قتل الحيوان حتى ولو كانت دجاجة.

* من يعش للقضايا الكبرى -أي لأمته- يعش كبيرًا ويمت كبيرًا، ومن يعش لنفسه يعيش صغيرًا ويمت صغيرًا.

✍ **بيجوفيتش** رجل أيقظ الهوية الإسلامية في البوسنة.

✍ **بيجوفيتش** تحدث كمحارب قاتل كمسلم وعاش حياته كمفكر حقيقي.

✍ **بيجوفيتش** لقي العنت في حياته الحافلة بألوان الجهاد وفي سائر المجالات، وابتلي في جسمه وصحته، وعلت سنه دون أن تهن له عزيمة أو تفل له إرادة فانصرف كما عاهد الله عليه إلى أن لقى ربه راضيًا مرضيًا.

* * *

أبو السبع أرواح
نجم الدين أربكان

- من مهندس المحركات إلى مهندس الحالة الإسلامية.
- أخطر من تحدي قواعد العلمانية الكمالية المتشددة التي حكمت بلاده، لقب أبي السبع أرواح يستحقه من كثرة ما أسس من أحزاب بلغ عددها خمسة في فترة زمنية قصيرة فلا يكاد يؤسس حزبًا حتى يحاصروه ويحظروه ويختموا أبوابه بالشمع الأحمر ليعود أربكان ليؤسس حزبًا جديدًا باسم جديد بنفس نكهة الحزب المحظور.
- حزبًا بعد حزب ومحاكمة بعد محاكمة وسجنًا بعد سجن .... هذا هو أربكان.

نشأ أربكان الذي تخطى اليوم ثمانين عامًا في كنف الطريقة النقشبندية ، بمجرد أن أنهى دراسته الثانوية التحق بجامعة الهندسة في إستانبول وتخرج من كلية الهندسة الميكانيكية وكان الأول على دفعته فتم تعيينه معيدًا في نفس الكلية.

أوفد إلى ألمانيا في بعثة، وفي خلال ثلاثة أعوام نال شهادة الدكتوراه في هندسة المحركات، وعاد إلى إستانبول وحصل على درجة مساعد بروفيسور، وفي العام نفسه حصل على درجة الأستاذية وعمره لم يتجاوز الـ ٢٩، وفي أثناء وجوده في ألمانيا عمل إلى جانب دراسته رئيسًا لمهندس الأبحاث في مصانع محركات (كلوفز هومبولدت دوتيز) بمدينة كولن ثم في مصانع محركات دوتيز وتوصل إلى عدة اكتشافات لتطوير صناعة محركات للدبابات تعمل بكل أنواع الوقود.

أثناء تدريسه في جامعة الهندسة في إستانبول وعلى ضوء الخبرة التي حصل عليها أثناء عمله في مصانع المحركات الألمانية قام بتأسيس شركة مصانع (المحرك الفضي) وساهم معه في الشركة ٣٠٠ من زملائه، وتخصصت الشركة في تصنيع محركات الديزل وبدأت إنتاجها في عام ١٩٦٠م، ولا تزال الشركة الرائدة في هذه الصناعة في تركيا وتنتج سنويًّا حوالي ٣٠ ألف محرك ديزل، وتولى أربكان رئاسة مجلس إدارة الشركة لمدة ثماني سنوات إلى جانب مديرها العام، ثم تولى منصب الأمين العام لاتحاد غرف التجارة والصناعة والبورصة التركية، ثم أصبح رئيسًا للاتحاد، وعندما تولى أربكان هذا المنصب ثارت ثائرة العلمانية والماسونية وبدأت الصحافة العلمانية والصهيونية حملة شعواء

ضده حتى قالوا عنه: «هناك صراع واضح في هذه الأيام في عالم التجارة والصناعة بين فئتين: فئة الرفاق الماسونيين الذين يعملون بحماية رئيس الوزراء سليمان ديميريل، وفئة الإخوان المسلمين الذين يعملون برئاسة نجم الدين أربكان».

- وانتقل أربكان من حلبة الصناعة إلى حلبة السياسة ليؤسس ويقود ويهندس حركة الصحوة الإسلامية الحديثة، فخاض الانتخابات النيابية سنة ١٩٦٩م كمرشح مستقل ففاز باكتساح ودخل إلى مجلس النواب، وفي عام ١٩٧٠م أسس مع عدد من المفكرين والناشطين الإسلاميين حزب النظام الوطني، وقد قال في كلمة له بعد عام على تأسيسه:

«إن أمتنا هي أمة الإيمان والإسلام ولقد حاول الماسونيون والشيوعيون بأعمالهم المتواصلة أن يخربوا هذه الأمة ويفسدوها ولقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد، فالتوجيه والإعلام بأيديهم والتجارة بأيديهم والاقتصاد تحت سيطرتهم، وأمام هذا الطوفان فليس أمامنا إلا العمل معًا يدًا واحدة وقلبًا واحدًا حتى نستطيع أن نعيد تركيا إلى سيرتها الأولى ونصل تاريخنا المجيد بحاضرنا الذي نريده مشرقًا».

- وبعد عام آخر أقامت الحكومة دعوى ضد الحزب فتم

حله ومصادرة أمواله وممتلكاته بتهمة انتهاك الدستور العلماني والعمل على إلغاء العلمانية وإقامة حكومة إسلامية في تركيا والعمل ضد مبادئ أتاتورك، وحكمت المحكمة بمنع أي عضو في الحزب من العمل في حزب آخر أو تأسيس حزب آخر أو ترشيح نفسه للانتخابات ولو بشكل مستقل لمدة خمس سنوات(١).

- بعد عام فقط دفع أربكان ببعض الإسلاميين ممن لا ينطبق عليهم حكم المحكمة لتشكيل حزب جديد أطلق عليه اسم «حزب السلامة الوطني» وبعد صدور عفو عام عن الجرائم السياسية خاض الحزب الجديد ومعه أربكان الانتخابات، وفاز بـ ٤٨ مقعدًا، وعقد ائتلافًا مع حزب الشعب الجمهوري برئاسة «أجاويد» وحصل حزب السلامة على سبع وزارات مهمة منها: الداخلية والعدل والتجارة والجمارك والزراعة والصناعة والتموين ووزارة دولة، وكان أربكان نائبًا لرئيس الوزراء ولكن بعد تسعة أشهر ونصف من تشكيل الحكومة والمكائد من العلمانية والماسونية تم تقديم استقالتها لفشل الحكومة الائتلافية.

ولكن فترة بسيطة ويعود أربكان إلى الحكومة وائتلاف جديد مع حزب العدالة برئاسة «ديميريل» وبنفس عدد الوزراء والمقاعد في الحكومة السابقة.

وفي انتخابات عام ١٩٧٧م لم يحقق حزب أربكان ما كان يطمح إليه، وخسر عدد كبير من النواب مقاعدهم، حتى وصل عدد أعضاء الحزب في مجلس النواب التركي إلى ٢٤ نائبًا فقط، ولكنه كان عضوًا في الائتلاف الحاكم.

استنفر أربكان وحزبه طاقاتهم الداخلية ولكن الصحافة الأجنبية شددت من دعمها للنظام العلماني التركي متهمة أربكان بأنه يرغب في عودة تركيا إلى أمجاد الإسلام، وفي الربع الأخير من عام ١٩٨٠م نظم حزبه مظاهرة كبيرة بمناسبة يوم القدس العالمي شارك فيها أكثر من نصف مليون تركي من كل أنحاء تركيا وهتفوا: «نريد الإسلام ولا نرضي سواه» وحملوا مجسمًا ضخمًا لقبة الصخرة المشرفة ولافتة عريضة عليها: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وفي اليوم التالي مباشرة قام انقلاب عسكري ليوقف المد الإسلامي وبالطبع:

حل الأحزاب، فرض الإقامة الجبرية على زعمائها باستثناء أربكان الذي تم القبض عليه ومثل أمام محكمة عسكرية مع قيادات من حزبه والتهمة محددة ومعروفة.

وسُجن ٤ سنوات مع حل حزب السلامة الوطني (٢).

- وبعد خروجه من السجن بفترة أسس حزبًا جديدًا اسمه «حزب الرفاة» عام ١٩٩٤م ومن فوز إلى فوز وفي سنوات قليلة على تأسيسه تمكن من الحصول على ١٨٥ مقعدًا في البرلمان عام ١٩٩٦م وتسلم أربكان خطاب التكليف الخطي من الرئيس «سليمان ديميريل» لتشكيل حكومة جديدة ولكن مجلس الأمن القومي الحامي للعلمانية التركية مع جنرالات الجيش وجه إنذارًا ووعيدًا لرئيس الوزراء يطلب منه تنفيذ عدد من الإجراءات الموجهة ضد نشاطات إسلامية وضد مظاهر إسلامية كارتداء الحجاب، والأئمة والخطباء، ومعاهد تحفيظ القرآن .... وفي النهاية كالمعتاد حظر حزب الرفاة ومنع زعيمه أربكان وعدد من رجاله من العمل السياسي لمدة خمس سنوات .(٣)

- من خلف الجدران والأستار تأسس حزب جديد عام ٢٠٠٠م باسم جديد (حزب الفضيلة) برئاسة شخص غير أربكان، ولكن تم حظر الحزب والتهمة معاداة العلمانية كالمعتاد على الرغم من ١١٠ نواب في البرلمان للحزب مع إجهاض قانون يسمح لأربكان العودة للعمل السياسي، فهم يحسبون مليون حساب له لما لديه من قدرة فائقة على استقطاب الجماهير، لذا لابد من إبقائه بعيدًا عن الساحة السياسية فسجن لمدة عام بتهمة التحريض على الكراهية الدينية والعرقية وحرمانه من

العمل السياسي مدى الحياة، ثم أصدرت المحكمة الدستورية قرارها بحل حزب الفضيلة.(٤)

- والناتج لكل هذا حزب جديد باسم حزب السعادة وحُكْم بالسجن مرة أخرى على أربكان.(٥)

إنه رجل: شهدت في عهده أول عملية تقارب بين العرب وتركيا، فقد كان أول شرط له للدخول في ائتلاف حكومي مع الغير هو أن تعطى العلاقات العربية التركية أهمية خاصة بحكم ما يربط العرب والأتراك من وشيجة الدين والعقيدة.

إنه رجل: قدم في شهر أغسطس عام ١٩٨٠م مشروع قانون إلى مجلس النواب التركي يدعو الحكومة التركية إلى قطع علاقاتها مع الكيان الصهيوني.

إنه رجل: أصر على أن تصدر الحكومة التركية احتجاجًا رسميًّا ضد إقدام إسرائيل على إعلان لضم القدس العربية إلى الكيان الصهيوني وإعلانها عاصمة إسرائيل.

إنه رجل: قدم اقتراح بحجب الثقة عن وزير الخارجية التركي آنذاك خير الدين أركمان بسبب سياسته

المؤيـدة للكيـان الصـهيوني والمعاديـة للعـرب، ونجح في طرده من وزارة الخارجية التركية.

إنه رجل: كـان يهتـف دائـمًا في كـل مظـاهرة في حياتـه ومـع أحزابه المنحلة: تسقط إسرائيل.

إنه رجل: حـاول أثنـاء رئاسـته للحكومـة إغـلاق المحافـل الماسونية وأندية الليونز والروتاري الماسونية.

إنه: محـامي فلسـطين في تركيـا والـذي كـان يـردد دائـمًا «إن فلسطين ليست للفلسطينيين وحدهم ولا للعرب وحدهم وإنما للمسلمين جميعًا».

إنه رجل: نجح لأنـه ارتـبط بالنـاس الأتـراك البسـطاء منـذ البداية والتف حوله الناس وكان خطابه البسيط ومعايشته لهم هـو سر التفـافهم حولـه وانجـذاب الأجيـال المختلفـة إليـه أمثـال: طيـب أردوجـان وعبد الله جول.... الجيل الجديد والناتج الطبيعي للحركة الإسلامية المتجددة في كل شيء.

إنه رجل: الخوجة (الأستاذ).

إنه رجل: صـاحب بصـمة حـاضرة في المشـهد السـياسي التركي.

إنه رجل: حوَّل احتفال تركيا بعيد العمال إلى عيد فتح إستانبول تقديرًا لعبقرية محمد الفاتح.

إنه رجل: تحول من الصناعة والاستثمار إلى قلب الحياة السياسية.

إنه رجل: صاحب السبع أرواح.

مؤسس الخمسة أحزاب.

الرجل الثمانيني الذي لا يكل ولا يمل.

عاشق للإسلام.

يعرف حق القدس عليه.

إنه: نجم الدين أربكان.

***

عامل القمامة الذي أصبح رئيسًا للجمهورية

- نشأ في حالة فقر مدقع.
- لم يتمكن والداه من الإنفاق على دراسته الثانوية.
- عمل أعمالاً كثيرة من الثانوية حتى الدراسة الجامعية منها جامع القمامة.
- اعتقل وقبض عليه أثناء الحكم الديكتاتوري العسكري وسجن ٣ سنوات.
- في عيد ميلاده الـ ٦٦ فاز في الانتخابات بكوريا الجنوبية وأصبح أول رئيس منتخب من قطاع الأعمال.

يعتبر كثير من الكوريين الجنوبيين فوز رئيس الحزب اليميني المحافظ «لي ميونج باك» برئاسة الجمهورية قصة نجاح نادرة؛ حيث إنه يروي أنه نشأ في حالة فقر مدقع وأن والديه كانا يعيشان في حاله من الكفاف لم تمكنهما من الإنفاق على دراسته الثانوية، فاضطر إلى العمل كبائع في كشك لبيع الأطعمة

ووجبات الأرز الجاهزة بإحدى الأسواق لتمويل دراسته وللمساعدة في الإنفاق على أسرته، وفي دراسته الجامعية عمل (لي باك) كجامع للقمامة وكان ذلك في فترة الحكم الديكتاتوري العسكري في كوريا الجنوبية، حيث اعتقل في عام ١٩٦٤م وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أعوام بتهمة قيادته لمظاهرة طلابية.

ويعتبر كثير من الكوريين الجنوبيين قصة نجاح الرئيس الجديد الطفل الجائع وعامل القمامة والذي تقدر ثروته بـ ٣٧ مليون دولار- قصة نجاح كوريا الجنوبية نفسها التي أصبحت في التسعينيات واحدة من المعجزات الاقتصادية الآسيوية.

ثم استطاع الحصول على وظيفة في شركة هيونداي للهندسة والبناء واشتهر بلقب البلدوزر وأطلق عليه أيضًا اسم «أسطورة رجل يتقاضى راتبًا» نظرًا لقدراته القيادية القوية ولمبادراته خلال الفترة التي عمل بها في شركة هيونداي حتى وصل إلى منصب الرئيس التنفيذي لها.

ورشح نفسه لرئاسة بلدية العاصمة وركز في حملته الانتخابية حينها على الاقتصاد الذي يشغل بال الكوريين، وشغل بالفعل منصب عمدة العاصمة الكورية من عام ٢٠٠٠م إلى عام ٢٠٠٤م.

وقام بالتبرع براتبه كعمدة إلى أطفال منظفي الشوارع ورجال الإطفاء.

- رجل ينام أربع ساعات كل ليلة فقط، نشيط متمكن، عنده درجة عالية من التركيز الذهني ورغم أنه يتوجه للفراش بعد منتصف الليل ويستيقظ قبل بزوغ الشمس وعمرة ٦٦ عامًا.

- في خطوة نادرة دعا حوالي ٢٠٠ من عمال تنظيف الشوارع لتناول الغذاء في المكتب الرئاسي «البيت الأزرق» كجزء من جهوده لتوسيع معرفته حول الصعوبات الاقتصادية التي يعانيها المواطنون الكوريون العاديون، وخلال لقاء الغداء شدد على أهمية التعليم كوسيلة للتغلب على ميراث دائرة الفقر الوحشي بين المواطنين الأقل دخلاً وقال:

«إن الحكومة تهدف إلى مساعدة الطلاب المتفوقين للحصول على شهادة من الجامعة بدون مقابل مالي أو حتى الذهاب للدراسة في الخارج، كما أن أمنيتي الوحيدة هي تشجيع أولئك الذين يواجهون صعوبات مع أبنائهم ومساعدة الأطفال المتعلمين على الحصول على وظيفة».

- تعهد بصرف راتبه الرئاسي للفقراء والمحتاجين طوال

الخمس سنوات التي سيقضيها في السلطة، كما تعهد برفع نسبة النمو إلى ٧٪ ومضاعفة مستوى الدخل الفردي خلال عقد لجعل الاقتصاد الكوري الجنوبي واحدًا من الاقتصادات السبعة الكبار في العالم.

- **رجل قال:**

- إن احترام الذات هو في الحقيقة المحرك الرئيسي لكوريا.
- يجب أن ننتقل من عصر الأيدلوجية إلى عصر البراجماتية.
- لكي نحول كوريا إلى دوله متقدمة يتعين علينا ألا نفرق بين أنفسنا.
- إن المستقبل الذي أتصوره لكوريا هو أن تكون أمة تخدم فيها الحكومة شعبها بكل إخلاص.. أمة يكون اقتصادها قويًا ينعم فيها الضعفاء والمهمشون بالعناية.. أمة تتعاون فيها العمالة والإدارة في تناغم تام.
- المعجزة سوف تستمر .... الأسطورة سوف تتواصل.
- إن مسار التغيير هو الانفتاح والاستقلال والإبداع.
- إن العمالة والإدارة هما عجلتا العربة التي نطلق عليها

الشركة؛ حيث إنه إذا تخلف أحد الجوانب فسوف تنهار الشركة بالكامل.

- دعونا جميعًا نتحد ونكون شخصًا واحدًا ونتحرك سويًا، وعندما نوحد جهودنا سوف نتمكن من التغلب على الصعوبات بشكل أسرع من أي بلد آخر، وسوف نحقق ذلك بدون أي سقوط.

وقالوا عنه:

- طريقه ليس سهلاً لتحقيق ما يريده ولكنه يملك التصميم.
- إنه رئيس كوريا الجنوبية رقم ١٧.
- إنه رجل يتم دراسة مسيرته الذاتية في عدد من جمهوريات روسيا لتعطي الأمل والحلم للشباب الروسي وللرجال محدودي الدخل.
- إنه رجل ارتقي تدريجيًا من الفقر كأحد أبناء أسرة محدودة مرت بظروف صعبة إلى أنه أصبح رئيسًا للدولة.

***

عامل ومراسل بـ٣ ريالات يوميًا
وزير حالي للبترول

- لا تعليم متوسط أو عالٍ بل بالكاد ألحق بالكتاب وحفظ القرآن ثم دخل المدرسة وخرج منها في سن الـ١١ عامًا.
- لا ثراء بل فقر مدقع وتحمل للمسئولية.
- لا راحة بل شمس حارقة وآلام وحرمان وفراق.
- لا كرامه بل معاملة سيئة.
- من أصغر مراسل إلى أكبر مهندس جيولوجي.
- من مساعد لتنظيف الرمل الذي يخرج من البئر إلى وزير للبترول.

جاء العامل السعودي الجنسية بالظهران في المنطقة الشرقية في نهاية يوم شديد الحرارة والرطوبة قاصدًا برادة الماء ليشرب، جاء مجهدًا ومتعبًا ويتصبب عرقًا بعد عناء يوم طويل من العمل الشاق تحت حرارة الشمس، جاء يروي ظمأه وليس أكثر من

هذا بل يظن أنه أقل من هذا (شربة ماء باردة في جو حار وبعد يوم عمل شاق).

وما إن ملأ الكوب بالماء البارد وأراد أن يبل جوفه حتى سمع صوتًا ينهره: لا تشرب أنت عامل ولا يحق لك الشرب؛ لأنه من الخدمات الخاصة بالمهندسين.

صوت من هذا ؟!

إنه صوت مهندس أمريكي يعمل في نفس المكان والموقع.

عاد العامل المسكين يجر أذيال الخيبة والحسرة والندامة ليس بسبب ضياع أجر يوم أو غيره بل من أجل شربة ماء.

رجع المسكين وأخذ يفكر أيامًا عديدة ويسأل نفسه:

- ✍ لماذا فُعل بي هذا؟
- ✍ لماذا مُنعتُ مني شربة الماء البارد؟
- ✍ لماذا تم التعامل معي كالجمل الأجرب؟
- ✍ لماذا حرم عليّ هذا البراد لأشرب منه؟
- ✍ هل لأنني عامل أم لأنهم مهندسون؟
- ✍ هل المهندس يشرب الماء البارد والعامل ليس من حقه هذا الامتياز؟
- ✍ هل لو كنت مهندسًا كان لي الحق في هذا الماء البارد؟

✍ هل أستطيع أن أكون مهندسًا يومًا ما وأكون مثل هؤلاء؟

واتكل على ربه وعقد العزم وبدأ بالدراسة الليلية ثم النهارية، وبعد السهر والجهد والتعب والسنين (وبالتأكيد السخرية من المقربين) حصل على شهادة الثانوية.

كان له أن يكتفي بما حصل ويحمد الله عز وجل على ما أنجز، وليبحث عن عمل بالشهادة المتوسطة التي حصل عليها، وحتمًا كان سيجد عملاً مناسبًا له في حينها ولكن مازال صدى الكلمات الغليظة ترن في أذنيه:

> أنت عامل ولا يحق لك الشرب؛ لأنه من الخدمات الخاصة بالمهندسين.
> أنت عامل ولا يحق لك الشرب؛ لأنه من الخدمات الخاصة بالمهندسين.
> أنت عامل ولا يحق لك الشرب؛ لأنه من الخدمات الخاصة بالمهندسين.

لذا كان الدافع أقوى والحرص على تحقيق الهدف أشد، فتم ابتعاثه إلى الولايات المتحدة الأمريكية على حساب الشركة التي يعمل بها وحصل على بكالوريوس الهندسة ثم الماجستير في الجيولوجيا ورجع لوطنه آن له أن يستريح فقد حقق الهدف ويحق له الحصول على نفس خدمات المهندسين، لا، فقد ظل

يعمل بجد واجتهاد حتى أصبح رئيس قسم في الشركة ثم رئيس شعبة ثم رئيس إدارة، ليس هذا وحسب بل حقق إنجازًا أكبر بعد عدة سنوات وأصبح نائب رئيس الشركة.. منصب عالٍ جدًّا بجهده واجتهاده، ومن قبل هذا اتكاله على الله وأخذه بالأسباب، ولكن حدثت مفاجأة: جاءه نفسي المهندس الأمريكي الذي نهره وكلمه بغلظة من سنين طويلة وكان هو الدافع والحافز لاستكمال أو بداية المشوار، وكان مازال يعمل بالشركة.

جاءه ليقول له:

أريد الموافقة على أجازتي وأرجو عدم الربط بين ما حدث بجانب برادة الماء بالعمل الرسمي، أرجو ألا تؤاخذني بما فعلت بك من سنين طويلة، أرجو ألا تنتقم مني أو تمنع عني ما أريد بسبب ما حدث من غلظة وسوء تصرف قديمًا رد عليه العامل (نائب رئيس الشركة حاليًا): أحب أن أشكرك من كل قلبي على منعي من الشرب، صحيح أنني حقدت عليك في ذلك الوقت ولكن أنت السبب بعد الله فيما أنا عليه الآن.

يكفي هذا فقد أصبح الرجل الثاني في الشركة.

لا: النجاح قدره، بعد عرق وكفاح وإخلاص ووفاء وولاء للعمل والوطن أصبح رئيسًا للشركة، وهي ليست شركة عادية

بل من كبريات الشركات العملاقة في صناعة البترول على مستوي العالم، إنها شركة أرامكو.

يكفي هذا، لا، تخطى هذه الـ(لا) مرة أخرى.

وأصبح وزيرًا للبترول في المملكة العربية السعودية.

وأصبح العامل وزيرًا للبترول.

أصبح العامل بالجهد والمثابرة يفعل ما يريد وأكثر مما يريد.

وكانت البداية شربة ماء مُنع منها بغلظة، لأنه عامل وليس مهندسًا، أصبح العامل مهندساً ووزيرًا للبترول في بلده.

كانت البداية مراسلاً يحمل الأوراق من المكاتب والراتب ثلاثة ريالات في اليوم، ثم تعلم الآلة الكاتبة، وتعلم الاختزال وتضاعفت الأماني.

حقق المجد: بالجد والاجتهاد ووضع الهدف أمامه.

يقلقه أن يرى إنسانًا مقتدرًا ومتقاعسًا.

يرى الطموح رغبة ملحة في الإنسان لتحقيق شيء.

ما مازال محبًا للتعليم ويحضر دورات تدريبية يستفيد منها الجديد.

إنه وزير البترول السعودي: **على النعيمي**.

***

بائع البطيخ ... أبو الطب المصري
ابن نبروه ... إبراهيم باشا النبراوي

- فقير من أسرة أكلها الفقر لا تملك من حطام الدنيا سوى بضعة قراريط من الأرض تشقى في زراعتها.
- بائع بطيخ فاشل تحول إلى طالب بالأزهر ثم طبيب ومدرس ووكيل لكلية الطب.
- ابن نبروه الفقير حصل على لقب باشا وأصبح الطبيب الخاص لمحمد على والى مصر ومن بعده من الحكام.
- من أنجب من اشتهر في الجراحة وصاحب إقدام على ما لم يقدم عليه غيره.

كانت البداية في قريته نبروه صبي يعمل في فلاحة الأرض مع والديه يزرعانها ثم يبيعان المحصول في عاصمة المديرية (طنطا) ليعود عليهم بربح يعوضان تعبهما وتكاليف الزراعة، عاش إبراهيم كما يعيش ملايين الأطفال من شقاء وشظف وحرمان، عرف طريقه إلى الكتاب فحفظ القرآن الكريم وتعلم

مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ولاح له أن يساعد والديه في عملهما وكفاحهما فقرر أن يوفر على والده مشقة تسويق إنتاجه من الأرض في طنطا وينتقل به إلى المدينة (القاهرة)؛ حيث الربح الوفير والقدرة لأهل القاهرة على دفع ثمن أعلى مما يدفعه الغير، ويعود بالمال ويخفف عن أسرته البؤس والشقاء، وأقنع الأب بذلك فزرعوا الأرض بالبطيخ ولما نضج حمله إبراهيم على ظهر جمل استأجره ومضي يشق الدلتا للقاهرة حتى حي الجمالية حيث الكثافة السكانية، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، السعر غير مناسب، إذن نتمهل حتى يرتفع السعر.. يوم، واثنان والأسعار كما هي فباع بالسعر المتاح والخسارة فادحة، عز على الصبي أن يعود إلى أبويه خالي الوفاض بعد أن وعدهم بالخير،دفع ما لديه من مال إلى صاحب الجمل المستأجر وطلب منه العودة إلى أبويه ويبلغهم أسفه لعدم قدرته على الوفاء بما وعد وأنه سيبقي في القاهرة يشق طريقه عسى أن تعوض الأيام عن الخسائر التي منى بها.

سار على قدميه إلى أن تعب، قادته قدماه إلى إحدى الحواري المجاورة للجامع الأزهر يرغب في عمل ولا يجد، وأثناء جلوسه ينظر إلى المارة من أهل الحي جذب انتباهه منظر غريب: شيخ ذو لحية طويلة بيضاء بيده كتاب وعن يمين وشمال الشيخ ومن

ورائه عدد كبير من الفتية المعممين والشيخ يسير في تؤدة ووقار، والفتيان يتبعونه في أدب جم واحترام بالغ، فسار إبراهيم خلف هذا الموكب وانتهى به المسير خلفهم إلى باب المسجد فدخلوه فسأل: من هذا؟ وما هذا المكان؟ ومن هؤلاء؟ فكان الرد: هذا الجامع الأزهر، وهذا أحد مشايخه، وهؤلاء الفتيان هم التلاميذ الذين يتلقون العلم.

بهرته الصورة، استهواه وقار الشيخ وزى الفتية.

لمعت في خياله الفكرة لمعان البرق فانتفض واقفًا واتخذ سبيله إلى المسجد ودخل مع الداخلين ورأى حلقات العلم والدروس وكل شيخ يجلس بجوار عمود فجلس إبراهيم إلى أقرب حلقة واستمع واستمع ثم إلى حلقة ثانية وثالثة ... ولم يكن ينتهي اليوم حتى عزم على أن يصبح أزهريًّا يطلب العلم كما يطلبه المئات ثم يعود إلى قريته عالمًا مرموقًا شيخًا للقرية ينحني الجميع يقبلون يده ويسعون إلى رضائه وتقبل عليه الدنيا ويعوض خسارة البطيخ.

شهور تمضي ويكتشف مشايخه النبوغ الفطري له واستعداده لتلقي المزيد من العلوم فكانوا يحفزونه ويشجعونه على المزيد إلى أن تم تشكيل لجنة من قبل حاكم مصر محمد على لاختيار نخبة من نوابغ الطلبة ليكونوا نواة مدرسة الطب التي يزمع إنشاؤها وعهد إلى كلوت بك بتأسيسها.

إذن:

نقلة جديدة من طالب بالأزهر يتمنى أن يكون شيخًا إلى تلميذ في مدرسة الطب الجديدة حيث يدرس الكيمياء والطبيعة والتشريح والأمراض والأدوية.

من مشايخ يدرسون له إلى أساتذة أجانب قادمين من فرنسا لإعداد أول فرقة من الطلبة لدراسة الطب، ثم إيفاد منهم إلى باريس لتلقي الدراسات العليا والمتخصصة.

ولأنه نابغة في حلقات الأزهر ظهر نبوغه أيضًا في مدرسة الطب في فرنسا، فقضى سنوات الدراسة جميعًا بنجاح وتفوق، وعاد مدرسًا بمدرسة الطب المصرية، فكان من أوائل المصريين الذين شغلوا مراكز التدريس ونجح مدرسًا وطبيبًا وأظهر مهارة فائقة حتى قصده الناس من كل فج وبلغت شهرته مسامع محمد على فقربه إليه وجعله طبيبه الخاص، ثم حصل على رتبة الباشوية، وظلت مكانته ترتفع عند الأسرة العلوية فاختاره الوالي عباس الأول طبيبًا خاصًا له ونال لديه الحظوة العظمى، ولما سافرت أم عباس الأول لأداء فريضة الحج صحبته معها ليشرف على صحتها وصحة من معها من الحجيج وليس هذا وحسب وإنما:

نقل العلوم الطبية إلى اللغة العربية في كتابات له مثل:

- كتاب الأربطة الجراحية الذي ترجمه عن الفرنسية.

- نبذة في الفلسفة الطبيعية تأليف (كلوت بك) وترجمه هو إلى العربية.
- نبذة في التشريح المرضي ترجمه عن الفرنسية.

مع ترجمة المصطلحات التي تدخل في اختصاصه من المعجم الفرنسي الذي يقع في ٨ أجزاء ويشتمل على المصطلحات العلمية والفنية في الطب والنبات والحيوان والعلوم الأخرى ذات الصلة بالطب تحت إشراف الدكتور (برون) الذي خلف (كلوت بك) في إدارة المدرسة.

- وعندما مات إبراهيم النبراوي ترك ألف وسبعمائة فدان.
- من حمولة بطيخ خاسرة إلى ألف وسبعمائة فدان ولقب باشا.
- من بائع بطيخ فاشل إلى طالب في الأزهر إلى طبيب نابغة في الجراحة.
- من هارب من أهله سائح في حواري وشوارع القاهرة إلى طبيب العائلات الكريمة الحاكمة في مصر.
- من قراريط يزرعها مع والديه ليعيشوا على حد الكفاف إلى مئات الأفدنة.

إنه الإنسان الكريم الشيم رفيع الهمة:

إبراهيم باشا النبراوي.

***

سوبرمان المصري في ألمانيا والنمسا

- في سن السادسة أصيب بمرض مجهول في عينيه قاده إلى العمى.
- أب موظف محدود الدخل لا حيلة له في الحياة.
- كان الأول على زملائه ولكن أحد أبناء الأساتذة الذي يليه في الترتيب حظي بوظيفته.
- عاش شهرين على الخبز والماء فقط.
- أرادوا فرملة طموحه بظلم أشد قوة من الظلمة فتمرد على الظلم، ورضى بالظلمة فقفز الحواجز وتخطى الحدود وحصل على (٢) دكتوراه، وأصبح دارسًا للكمبيوتر ومستشارًا للعديد من الشركات الكبرى في هذا المجال.

في سن السادسة أصيب الطفل بمرض مجهول في عينيه انتهي به الأمر إلى الإصابة بالعمى رغم ما بذلته أسرته من جهود

لإنقاذه بعد أن فشلت العملية التي أجريت له في مستشفى قصر العيني، ولم يكن سهلاً على طفل في هذه السن أن يتقبل هذه النتيجة بسهولة فظل يبكي بكاءً شديدًا وألم به حزن صاحبه فترة طويلة، ولكنه في النهاية أيقن أنها الأقدار التي لا تستطيع أن تقف أي قوة في الكون أمامها فاستسلم لها راضيًا وارتضى بالظلمة التي قدرها الله له طيلة حياته فكانت هذه البداية للكفيف/ ممدوح الشرقاوي.

ولد هذا الطفل في منطقة المطرية بأطراف القاهرة لأسرة مكافحة، الأب موظف بسيط محدود الدخل أكلته الحياة وقهرته المعيشة حتى تقاعد عن العمل ببلوغه سن التقاعد.

التحق الشرقاوي بمدرسة للمكفوفين وحصل منها على الابتدائية بتفوق ثم واصل تفوقه فحصل على الإعدادية والثانوية، وعندما اقترب من المرحلة الجامعية أدرك أن فقد بصره سيكون سببًا في منعه من دراسة العلوم التقنية فنحى هذا المجال عن تفكيره، وفكر في دارسة اللغات كمجال يمكنه أن يتفوق فيه، وخاصة أنه متفوق أساسًا في اللغتين الإنجليزية والفرنسية واختار اللغة الألمانية ليدرسها بكلية الألسن لإحدى الجامعات المصرية، ولأن دراسة هذه اللغة ستجعل ممدوح يحتاج إلى مساعدة شخص آخر نظرًا لصعوبتها ومشاكلها لفاقدي البصر، فأقنع شقيقه الذي يصغره بأربع سنوات أن يتعلمها

أيضًا، وبدأ الاثنان معا واستعان بشقيقه في تحصيل الدروس والشرح، وركز على ما أنعم الله عليه بذاكرة قوية وواظب على حضور المحاضرات واعتاد على طريقة برايل في التعليم، وفي الامتحان رفضت الجامعة أن يكتب على ورقة الإجابة عن طريق الآلة الكاتبة التي كان يتقنها وكلفت شخصًا آخر ليكتب ما يمليه عليه ممدوح.

وضع الشرقاوي التفوق نصب عينيه فاجتهد ودرس بجدية وبمجرد انتهاء العام الدراسي كان يبدأ في دراسة العام التالي، يريد أن ينهي الدراسة وبسرعة ويحقق حلمه في السفر للخارج ليحقق ذاته ومنذ العام الأول بدأ يعد عدته لهذا الحلم بالادخار من مصروفه ومن منحة التفوق التي كان يحصل عليها، تفوق الشرقاوي في العام الأول الثاني والثالث وحصل على رحلة صيفية منحة له إلى ألمانيا أكدت له في نفسه ضرورة السفر لتحقيق الحلم خاصة وأنه تعامل معاملة إنسانية راقية جدًّا في هذه الرحلة.

أنهى ممدوح الدراسة الجامعية بتفوق أعطاه حق العمل كعضو هيئه تدريس (معيد) لكن أحد أبناء الأساتذة الذي يليه في الترتيب حظى بهذه الوظيفة، اشتاط الفتى غيظًا من الظلم الذي وقع عليه ولم يسلم بذلك فسلك الطرق القانونية بمساعدة

أستاذه في الكلية حتى رُفع عنه الظلم واسترد حقه المنهوب، وفي هذا الفترة كان قد راسل جامعة ألمانية وحصل منها على الموافقة على الدراسة بها، وعندما طلب من كليته في مصر السماح له بالسفر لم يوافق المسئولون إلا بعد أن طلب السفر على حسابه الخاص وحصل على إجازة من الجامعة، وعندما طلب فيزا تأشيرة دخول من السفارة الألمانية في القاهرة للسفر للدراسة رفض القنصل لأنه لم يقدم أي ضمانات مالية لأن والده موظف بسيط لا يتجاوز مرتبه أربعة دولارات شهريًا.

ولأن في هذا الوقت كان السفر إلى النمسا سهلاً ففكر عن طريقها دخول ألمانيا، فسافر إلى النمسا تاركًا أسرته غارقة في مشاعر امتزجت فيها الدهشة بالحيرة والخوف عليه من المجهول، أو بتعبير أدق الفشل الذي لاشك سينتظره هناك في هذه البلاد، أما هو فكان على قناعة تامة بأنه لم يسافر بل انتقل إلى المستقبل ليحقق ذاته وأحلامه التي طالما كانت تراوده في مصر، وحالت العادات والتقاليد والروتين والبيروقراطية والظلم في كثير من الأحيان بينها وبين النور، وصل الفتى إلى مطار فيينا واستقل القطار الداخلي إلى محطة القطار الدولي المتجه إلى الغرب، ثم استقل القطار قاصدًا ألمانيا الغربية في ذاك الوقت قبل التوحيد، وقبل وصول القطار إلى الحدود مع ألمانيا ومع آخر

محطة نمساوية وقف فيها القطار جاء مفتش شرطة الحدود للفتى وبمطالعة أوراقه اعتذر له وطلب منه -في أدب جم- النزول من القطار، لأنه غير مسموح له بالدخول إلى ألمانيا لعدم حصوله على تأشيرة دخول ولا يكفي حصوله على موافقة جامعة ألمانية للدراسة بها.

نزل الشرقاوي من القطار مستسلمًا لأقداره وترك الحقيبة على رصيف المحطة ثم تلمس بعصاه بعض درجات نزل عليها إلى الشارع مباشرة، الثانية عشر منتصف الليل وقف الفتى بشارع المحطة في قرية ينام أهلها في التاسعة مساءً إلا من بعض السكارى ومرتادى الحانات، وبعد أكثر من ساعة بدأ صوت محرك سيارة يدنو إليه حتى وقفت أمامه ونزل منها رجل نمساوي من أهل القرية وجد أمامه شابًا أسمر اللون أجنبيًا لكنه يتحدث الألمانية الراقية التي لا يتحدث بها سوى أهل النخبة المثقفة في ألمانيا، فحكى له القصة وما حدث له فأخذه الرجل إلى بنسيون قريب بالقرية وحجز له غرفة ودفع له أجرة الليلة، وفي الصباح حضر هذا الرجل إليه وأقرضه ألفي شيلنج نمساوي في الوقت الذي لم يكن مع ممدوح سوى خمسين شيلنجًا فقط واشتري له تذكرة قطار حتى مدينه سالزبورج حيث سينتظره رجلان من الشرطة ليساعداه في الطريق حتى مبنى

القنصلية الألمانية، لكي يطلب تأشيرة الدخول ويعاود السفر مرة أخرى في اليوم التالي، هكذا كان توقع الرجل النمساوي وحلم الشاب المصري.

ولكن في القنصلية لم يتغير الوضع واقتنع بأنه ليس له الحق في دخول ألمانيا فاتصل رجلا الشرطة المصاحبان له بالرجل النمساوي وأبلغاه بما حدث ولكنه قال لهم: ماذا سيفعل الشرقاوي؟ فأبلغاه بأنه سوف يبقي بالنمسا فترة حتى يحصل على تأشيرة دخول لألمانيا، فقام الرجل بنشر قصة الشرقاوي في الصحافة النمساوية وانتقد فيها الحكومة الألمانية لأنها لم تراع الجوانب الإنسانية لطلب الفتى المصري نظرًا لظروف فقد بصره، وعندما قرأ السفير الألماني الانتقادات الحادة للحكومة الألمانية طلب مقابلة الشرقاوي، وفي اللقاء زادت قناعة الفتى المصري باستحالة الدخول إلى ألمانيا لعدم تقديم ضمانات مالية، بقي ممدوح في النمسا وحصل على قرار استثنائي بمنحه دراسية بجامعة فيينا لدراسة الأدب النمساوي، قبلها عاش شهرين على الخبز والماء فقط حتى يوفر من المال القليل الذي أقرضه الرجل النمساوي إياه، وبالمنحة عاش بشكل طبيعي مركزًا على دراسته التي اعتبرها همه الأول ونجح وحصل على أول دكتوراه.

ثم سافر إلى ألمانيا مرة أخرى بعد ذلك وظل بها عامين

حصل خلالهما على الدكتوراه الثانية، وفي أول إجازة لمصر ذهب إلى الجامعة ووجد الأمور كما هي لم تتغير فقدم استقالته وعمل في وزارة الخارجية النمساوية بقسم المعلومات، ثم قدم استقالته ليدرس الكمبيوتر والبرمجة والتقنيات الحلم القديم، ولم يجد عائقاً في النمسا أمام هذا الدراسة ثم عمل بعدها مستشارًا لشركات الحاسب الآلي، وقام بتطوير برامج قام بتعريبها لخدمة المكفوفين في مصر والعالم العربي، وكون من هذا ثروة كبيرة.

حقق كل أحلامه ومازال يجتهد ليحقق غيرها وغيرها.

* * *

طالب كسول وجامعي فاشل ولكنه أصبح ملياردير ًا
حسين سجواني مالك شركة داماك القابضة أكبر شركة خاصة للتطوير العقاري

- بدأ حياته بائعًا للشيكولاتة والحلوى لرفاقه لمغالبة الفقر.
- فشل كطبيب ونجح كتاجر.
- كان من أكسل طلاب المدرسة الابتدائية وكان ترتيبه من بين ثلاثين تلميذًا في الصف الـ٢٦ ولكن تخرج في جامعة أمريكية.
- خسر خسارات متواصلة في عالم التجارة ولكن يمتلك الآن واحدة من كبريات الشركات العقارية الخليجية.
- كان أبوه تاجرًا بسيطًا وأمه تبيع الأقمشة وتخيط الملابس حتى لا ينام هو وإخوته بدون عشاء.

بدأ حسين في أسرة إماراتية فقيرة مع أختين وأخين، عائلة فقيرة الحال، تكدح لأجل لقمة العيش، الوالد تاجر بسيط والوالدة كذلك، مارست الأم الأعمال التجارية منذ الخامسة

عشر من عمرها وكانت تبيع الأقمشة حتى لا ينام أولادها بدون عشاء، وسرعان ما نجحت في تحويل المنزل إلى ورشة خياطة، فدفع نجاحها أخواتها البنات ثم الجيران إلى تقليدها حيث امتهنوا الحرفة نفسها، الأمر الذي دعاها إلى استيراد الأقمشة من ابن عمتها في قطر لتحافظ على الصنعة وتفردت بالسوق من خلال نوعية القماش المستورد وجودته وعملت رأس مال معقول.

وأما الوالد فكان رجلاً أميًّا لا يجيد القراءة ولا الكتابة، عسكري بطبعه صارم دقيق يعمل من السابعة صباحًا وحتى منتصف الليل تتخللها فترة قيلولة لا تتجاوز ٢٥ دقيقة، بدأ بتجارة الأقلام والساعات ومن محل واحد أمتلك في فترة وجيزة أربعة محلات تجارية، وعندما بدأت طفرة النفط عام ١٩٧١م تحول للعمل في العقار والأسهم واستمر في هذه الطريق حتى وفاته عام ٢٠٠١م، خلال تلك الفترة كان ينتهج شراء الأراضي ويشيد عليها مباني مؤلفة من أربعة طوابق يبيعها أو يؤجرها وجمع ثروة كبيرة بهذه الطريقة توزعت من بعده على الورثة.

في هذه الأسرة كان حسين أمام تحديين: الأول العمل ومساعدة الوالد لكونه أكبر إخوته، والثاني مواصلة التعلم بموازاة العمل؛ ولذا يقول:

«عملت في طفولتي بأحد المحال التجارية التابعة لوالدي،

أمسك الكتاب بيدي، وعندما أفرغ من تقديم المساعدة لزبون ما أقلب إحدى الصفحات وأستمر على هذا المنوال حتى يمضي النهار أعمل وأقرأ، إلا أنني كنت من أكسل التلاميذ وأتذكر أن ترتيبي من بين ثلاثين تلميذًا في صفي كان الـ٢٦ وذلك لمدة ثماني سنوات متواصلة، وكنتيجة لذلك طالبني والدي بترك المدرسة والعمل معه في محاله التجارية، إلا أنني رفضت، ووقتها بدأت بوادر أزمة وخلاف كبير يجتاح علاقتي مع الأب وفي المرحلة الثانوية حققت قفزة نوعية على مستوى الدراسة انتقلت من خلالها إلى المراحل الثلاث الأولى وأنهيت الثانوية بتفوق».

«كان الوالد يوجهني نحو الأعمال التجارية ويضغط عليَّ أن أحضر للمحل، هذا الضغط خلق عاملاً آخر وهو عدم حبي أن أذهب للمحل فأنا كطفل عمري ١٢ سنة أجبر على الذهاب للمحل كل يوم بعد انتهاء الدراسة أكيد يصنع رد فعل سيئ، ولكن سبحان الله أحد أسباب نجاحي أعتقد هو وجودي في محل الوالد منذ صغري فتعلمت التجارة منذ الصغر والتعامل مع الزبائن».

بعد الثانوية توجه إلى بغداد لدراسة الطب البشري وكان من أسباب فشله وصوله متأخرًا عن افتتاح الجامعات لمدة شهرين مع لغة إنجليزية ضعيفة فشطبت الحكومة الإماراتية اسمه من البعثة فعاد إلى دبي، وبالطبع كان في انتظاره شيء واحد

هو طلب والده منه أن يترك الدراسة والانخراط في عالم التجارة فرفضه وحزم أمره بمغادرة البلد وإتمام الدراسة في أمريكا واجتهد في دراسة اللغة الإنجليزية التي كانت سببًا من أسباب فشله في بغداد حتى اختصر المدة المطلوبة وأسهب في الدورات الجامعية التدريبية فاختصرها هي الأخرى من تسعة أشهر إلى ثلاثة وبنتائج لافتة، مما دفع بسفارة بلاده إلى تقييد اسمه في سجل بعثاتها في أمريكا، درس في كلية الهندسة الصناعية وتخرج فيها ثم ذهب إلى العاصمة الإماراتية أبو ظبي وعمل كموظف عادي لمدة سنتين في شركة «غاز كوم» ولكنه عقد صفقة مثيرة خرج منها بعمولة كبيرة حوالي ١٠٠ ألف درهم فاستقال وأسس شركة خاصة.

كانت الصفقة بدايتها وهو في آخر سنة من الدراسة في الولايات المتحدة حيث عُرضت عليه فكرة المشاركة بالوقت في العقارات وحصل على وكالة من إحدى الشركات الأمريكية، وفي الإمارات نفذ الفكرة وطرق العشرات من أبواب المنازل حتى أقنع الناس بها وكسب منها عمولة الـ١٠٠ ألف درهم أساس ثروته اليوم، نعم عمولة عالية ولكنها جاءت بعد جهد منه وسابق خبرة في تجارة ومحلات أبيه رغمًا عنه ومن بيع الشيكولاتة للأولاد أيام الثانوية ومن بيع البضائع في بغداد وهو يدرس الطب حيث كان النظام الاشتراكي بالعراق يمنع تداول

بعض المواد في السوق المحلية، وكانت متوفرة بالكويت فيقوم هو بإحضارها مثل الصابون والعطور ومعجون الأسنان ويُسمح له بدخولها لكونه طالبًا أجنبيًّا، ثم وسع العمل من خلال مستحضرات تجميل النساء وهذا كله كان يعينه على دراسته.

- قام باستقطاب وكالات لأربعة مطاعم للوجبات السريعة من أمريكا، إلا أن دخول شركات كبيرة ضخمة ضخت ٥٠٠ مليون درهم في السوق وكان رأسماله وقتها ٢٠ مليون درهم، فلم يستطع الصمود ولم يفضل المناطحة لأنه يعرف وزنه وثقله أمام الغير، فغيرَّ الدفة إلى وجهة أخرى وأغلق المحال وأرجع الوكالات لأصحابها.

بدأت تضحك الظروف في وجه حسين من جديد ففي عام ١٩٩٤م بدأت دبي تسجل تحركًا سياحيًّا كبيرًا وبدأت الفنادق، فركز عليها وبدأ يبني فنادق (٣) نجوم ويبيعها بسهولة لتركز العمالة الأجنبية وكثرتها في ذلك الوقت وضمن من خلالها ثروة جيدة، وأعطته أرباح تلك الفنادق بطاقة الدخول إلى سوق الأسهم حيث كانت عيناه عليها دائمًا.

دخل السوق العمانية عام ١٩٩٦م وأضاف على ثروته المزيد منها ثم تحول إلى السوق الإماراتية وكان الوقت مناسبًا في البداية

فربح الكثير ثم عاد إلى الولايات المتحدة وأغراه عالم الإنترنت في عام ٢٠٠٠م وبدأ يعمل في تجارة الإنترنت وأسس مكتبًا لـه في سان فرانسيسكو وآخر في لندن، وفي أول عامين انهارت سوق الإنترنت وخسر الكثير فأغلق مكاتبه وعاد أدراجه إلى لعبة العقار، لعبة حسين الأكثر إثارة.. لعبة الكر والفر، أدرك أهمية السوق فدخل سوق دبي وبدأ الحظ حليفه بعد كل سنوات الكفاح فأصبحت داماك القابضة ومليارات الدراهم وأنشطة عديدة في حقول الاستثمار والصناعة والخدمات المالية والتأمين والنفط، وتوزيع الأعمال على عشرات الدول حول العالم وإدارة أعمال بحجم يقدر بأكثر من ثلاثة مليارات دولارات ونحو ٧ آلاف موظف في الشركة الأم، تستحوذ الشركة العقارية منهم على نحو ١١٧١ موظفًا.

إنه رجل ينفق ٢٥٠ مليون درهم إماراتي على الإعلانات كل عام مع الهدايا والمشاركة في المعارض.

إنه رجل صاحب شركة تمنح عرضًا ترويجيًا كبيرًا يشمل عقارات الشركة في دبي بقيمة تفوق ٩٠ مليون درهم بالإضافة إلى سحب على جزيرة خاصة بقيمة مليون درهم على الشاطئ الكاريبى، وسحب آخر على طائرة نفاثة جديدة بمبلغ ٥,٥

ملايين درهم لمن يشتري عقارًا من دماك خلال أحد المهرجانات كما يحصل كل من يشتري شقة سكنية خلال نفس الفترة على سيارة فخمة من طراز بنتلي أو بي إم دبليو والشقة السكنية ممكن أن تكون دوبلكس أو ستديو أو بغرفة نوم وصالة أو مكتب أو شقة سكنية بغرفتي نوم وصالة.

فهو صاحب قناعة بأن كل من يمتلك شقة فخمة ضمن إمبراطوريته العقارية يجب أن يمتلك أيضًا سيارة فارهة فيمنحها مجانًا.

إنه رجل يرى أن عليه الاجتهاد والخروج من الصباح من المنزل والعمل والاجتهاد والتوفيق بيد الله.

إنه رجل يعيش في منزل مؤجر لأن منزله لم يتم بناؤه بعد.

إنه رجل يعتقد بأن أولاده يجب أن يتعودوا أن يعيشوا في مستوى معقول بدون إسراف ولا يقتنع بالفخامة الزائدة في البيت والسكن والحياة الخاصة.

إنه رجل لا يجد ضررًا أن يركب الدرجة السياحية بالطائرة ولا يجد في ذلك غضاضة.

إنه رجل يعطي لزوجته وأطفاله الثلاثة من وقته ٥٠٪ إلى

٦٠٪ أيام العطل وشهرًا من الراحة والاستجمام كل عام ولأمه وإخوته جلسة واحدة أسبوعيًّا على طاولة غداء أو عشاء.

إنه رجل يغار من رجل الأعمال الذي يصلي ويصوم أكثر.

إنه رجل يري أن الله أعطاه أكثر مما يستحق ١٠٠٠ مرة.

من طالب كسول إلى بائع شيكولاتة وصابون ولكنه أضحى مليارديرًا.

* * *

غاسل الصحون الذي أصبح أشهر مؤلف في مجال المساعدة الذاتية في مجالات القيادة والمبيعات والمهارات الشخصية «برايان تريسي»

- بدأ من الصفر من عائلة فقيرة.
- فشل في الدراسة ولم يكمل المرحلة الثانوية.
- فشل في أول ثلاث محاولات لعبور الصحراء.
- فشل في الوظائف الأولى التي عمل بها.
- فشل في البداية حيث امتهن وظيفة البيع، وحين انتقل للإدارة وقع في أخطاء لا تحصى، ولكنه تعلم من كل المحاولات الفاشلة وحول الفشل إلى نجاح.

برايان تريسي مستشار وكاتب ومحاضر صاحب محاضرات صوتية في مجال النجاح في عالم الأعمال هي الأكثر استماعًا على مستوى العالم.

من عائلة فقيرة لم يكمل تعليمه الثانوي فانخرط في وظائف يدوية مثل: غسل الصحون وتكويم جذوع الأشجار وحفر

الجدران وتحزيم أكوام الحشيش في الحقول، وعمره عشرون سنة أراد أن يرتحل حول العالم بسيارته وأن يعبر الصحراء الكبرى من كندا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومنها على ظهر سفينة شحن إلى المملكة المتحدة (إنجلترا) ومنها شق طريقه عبر القنال الإنجليزية إلى فرنسا على ظهر دراجة هوائية وحتى إسبانيا وجزيرة جبل طارق، وهناك اشترك مع صديقين له في شراء سيارة لاند روفر ليقودها عبر الصحراء الكبرى حيث كاد يموت أكثر من مرة، حتى بلغ جوهانسبرج في جنوب إفريقيا حيث عاش وعمل لمدة سنتين ليعود بعدها إلى لندن ليكمل فيها بعض الوقت ومنها إلى ألمانيا ليبدأ في رحلته البرية من إنجلترا وحتى سنغافورة عبر أوربا وتركيا وإيران وباكستان والهند وماليزيا حتى سنغافورة ومنها إلى تايلاند حيث عمل هناك لمدة عامين.

* خلال سنوات ثمانٍ عمل برايان في قرابة ٨٠ دولة وسنحت له الفرصة لتعلم رياضة الكاراتيه وتعلم فلسفتها وحكمتها مما ساعده كثيرًا على النجاح في دروبه في الحياة.

* في الثلاثينيات من عمره عاد ليدرس ويحصل على شهادته في الأعمال (درجة البكالوريوس في التجارة) وبدأت رحلة التفوق ولذا يقول: إن التفوق رحلة طويلة وليس مشهدًا

سريعًا ولا يمكن بحال للمرء أن يثب من المستويات الدنيا إلى التفوق بين عشية وضحاها بل هي عملية طويلة وبطيئة تتطلب التوجه السليم والالتزام وحتى يمكنك الاستفادة من هذه الرحلة يلزمك اتباع الخطوتين التاليتين:

١- اسأل نفسك ما هيّ الخطوات الصغيرة التي تقربني من هدفي كأن تقول ما هي الخطوة الصغيرة التي لو عملتها الآن ستقربني منه أو تزيد من ثقافتي.

٢- العالم يصفق فقط للأفعال، والأفكار وحدها لا تصنع نجاحًا لذا لابد من المباشرة في الفعل.

برايان يقرأ في مجالات الإدارة والاقتصاد والتاريخ والقادة والعظماء ويتحدث أربع لغات ويؤمن بأن المرء منا يتحكم في مصيره، وأن الاجتهاد والعمل الشاق والمثابرة وتنظيم الوقت كفيلة ببلوغ الواحد منا هدفه.

أصبح يعمل في المبيعات والتسويق والاستثمار والعقارات والتصدير والتوزيع والاستشارات الإدارية، وأصبح مديرًا للعمليات بشركة حققت ٧٥مليون دولار سنويًا، ثم أسس شركته الخاصة.

يحاضر كل عام لأكثر من ٤٥٠ ألف شخص في العديد من

مواضيع الإدارة والقيادة والتخطيط ووضع الأهداف وتنفيذها وتطوير الذات والإبداع.

سجل محاضراته الصوتية وخلال ٢٥ عامًا كانت حصيلته أكثر من ٣٠٠ برنامج تدريب صوتي ومرئي من محاضرات وكتب ومقالات ونصائح مع برامج تلفزيونية وراديو، ترجمت لأكثر من ٢٤ لغة ويحمل في جعبته حصيلة ٢٥ سنة من العمل.

أما كتبه الكثيرة فقد حقق العديد منها لقب أفضل كاتب محقق للمبيعات.

يرى أن الفشل في الحياة أمر طبيعي مثل التنفس.

في كتابه الرائع: «ابدأ بالأهم ولو كان صعبًا» يري أن: الشخص العادي (أو أكثر من عادي) لديه كم هائل من الطاقات التي لم تستغل بعد وأن في الإمكان استغلال هذه الطاقات في المضي قدمًا لو تعلمنا وتدربنا على المفاتيح والطرق والإستراتيجيات التي يستخدمها الناجحون المتقدمون، ولذا إذا كان عليك أكل ضفدعتين فابدأ بالأبشع.

✎ وإذا كان لديك واجبان مهمان فابدأ بالأكبر والأصعب والأهم أولاً واضبط نفسك بأن تبدأ مباشرة وتتابع المهمة إلى أن تنهيها قبل أن تبدأ بالأخرى.

✎ كل دقيقة تمضيها في التخطيط يمكن أن توفر من ٥ إلى ١٠ دقائق عند التنفيذ.

✎ سر على قانون الكفاية المفروضة الذي ينص على أنه لا يوجد أبدًا الوقت الكافي لفعل كل شيء لكنّ هناك دائمًا وقتًا كافيًا لفعل الشيء المهم.

✎ ماطل دائمًا ولكن في المهام قليلة الفائدة.

✎ الشخص العادي الذي ينمي عادته بالبدء بالأولويات وإنجاز المهام الكثيرة بسرعة يمكن أن يتفوق على الشخص النابغة الذي يتكلم كثيرًا ولديه خطط رائعة لكنه لا ينفذ سوى القليل.

✎ إذا كان عليك أن تأكل ضفدعة لن يجدي نفعًا أن تجلس وتنظر إليها طويلاً.

✎ الخوف من التنفيذ هو من أكبر المشكلات في منظماتنا في هذه الأيام ويخلط الكثير بين النشاط والإنجاز، فهم يتكلمون باستمرار ويعقدون اجتماعات لانهائية ويخططون خططًا رائعة ولكن في التحليل النهائي لا أحد يؤدي العمل الذي يقود إلى النتائج المطلوبة.

✎ ٩٥٪ من نجاحك في الحياة والعمل يسيطر عليه نوع

العادات التي تمارسها طوال الوقت.

✍ الصورة العقلية تجاه نفسك لها تأثير قوي على سلوكك.

✍ يتحقق الإنجاز الكبير بمراحل صغيرة يبدؤها على الفور.

✍ إذا لم تضع أهدافًا لنفسك فسيكون مآلك أن تعمل على إنجاز أهداف الآخرين.

✍ ابدأ كل صباح بقول: أعتقد أن شيئًا رائعًا سيحدث لي اليوم (كررها مرارًا وتكرارًا).

وأنت، من الممكن أن تفشل ولكن بالتأكيد ليس كفشل برايان في بداية حياته ولكنه استطاع أن يستفيد من فشله حتى وصل للقمة.

✍ إنه رجل بدأ من القاع، ما بعد القاع ووصل إلى العالمية ومازال على القمة يتفوق.

***

أوبرا وينفري ابنة الخادمة والحلاق
من شوارع الفقر
إلى ملكة الإعلام الأمريكي

- كانت سنوات طفولتها من أتعس السنوات.
- ولدت بمنزل جدتها التي كانت تعمل غسالة للملابس.
- انحرفت إلى طريق المخدرات وهي لا تزال في الرابعة عشر بل وتعرضت للاغتصاب أكثر من مرة.
- ولكن كان لديها حلم استطاعت تحقيقه.

«أوبرا وينفري» ملكة الإعلام الأمريكي أثبتت بجدارة أن بمقدور الإنسان الذي لا يملك شيئًا أن يحصل على ما يريده، فمن شوارع الفقر تحولت أوبرا الملكة الإعلام الأمريكي وأصبحت مليارديرة أمريكية إفريقية، وقد اختارتها مجلة «فوربس الأمريكية» لتكون الشخصية الأكثر تأثيرًا في العالم للعام ٢٠٠٥م وتصدرت القائمة السنوية لأقوى ١٠٠ شخصية مشهورة في العالم في عام ٢٠٠٧ ثم المركز الأول مرة أخرى في

عام ٢٠٠٨ متقدمة بذلك على مشاهير الفن، السياسة، الرياضة، وقد وصفتها وسائل الإعلام بأنها أهم من رئيس الولايات المتحدة.

الكثير منا لا يعرف عنها إلا أنها مقدمة مميزة لبرنامج «أوبرا وينفري شو» الذي يعرض يوميًّا ويتابعه الملايين من عشاقها في جميع أنحاء العالم، لكن ماذا عن طفولتها وحياتها الشخصية والإنسانية، والأعمال التي تديرها؟ وما هي مميزات «أوبرا» التي جذبت ملايين المشاهدين إليها؟

إنها:

ولدت في عام ١٩٥٤م بمنزل جدتها بأفقر أحياء ولاية المسيسبي، وكانت طفولتها من أتعس السنوات التي يمكن أن تعيشها طفلة بعد أن انفصل والدها -الذي كان يعمل حلاقًا- عن والدتها التي كانت تعمل خادمة بالبيوت.

وعن أحلامها كطفلة تقول «أوبرا»: (في طفولتي كنت أملك حلمًا بأن أكون مشهورة وغنية إلا أنني كنت أعي الظروف التي ولدت في ظلها؛ حيث تربيت في بيت جدتي الفقيرة التي تعلمت منها القراءة وأهلتني كي أصبح على ما أنا عليه الآن).

- في السادسة من عمرها انتقلت للحياة مع والدتها حيث

تعرضت للاغتصاب أكثر من مرة على يد أقارب والدتها، وتحملت العذاب والقسوة إلى أن بلغت الرابعة عشر من عمرها حين انتقلت إلى الحياة مع والدها، ولكن العيش مع والدها لم يحل مشاكلها رغم محبته الكبيرة فانحرفت إلى طريق المخدرات وهي لا تزال في الرابعة عشر بالإضافة إلى إنجابها لطفل لم يكتب له الحياة وأرادت والدتها أن ترسلها إلى إحدى دور الرعاية، ولكن لحسن حظها لم يتوافر لها مكان، وبدأ والدها في تأديبها تأديبًا صارمًا، وتحت قبضته الحديدية تغيرت «أوبرا» تدريجيًّا واستطاعت استعادة ثقتها بنفسها.

- بدأت مشوارها في الـ١٩ من عمرها وهي لا تزال تدرس في المرحلة الثانوية كمراسلة لإحدى قنوات الإذاعة المحلية بسبب إتقانها القراءة والتحقت بالتعليم الجامعي بولاية تينيسي حيث حصلت على منحة دراسية، وعلى الرغم من ذلك لاقت صعوبات عديدة حيث كانت من أوائل الطلاب الأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية.

في السنة الأولى في الجامعة لفت حضورها الإذاعي أشخاصًا اقترحوا عليها العمل في التلفزيون لتصبح أول أمريكية من أصل إفريقي تقدم الأخبار في تلفزيون wtv F-t وتقول: «أذكر أنني رفضت العرض نفسه مرتين وفي المرة الثالثة قصدتُ

أحد مدرسيّ» وقلت له: أرفض العمل في التلفزيون لأنني أخاف أن لا أنهي دراستي الجامعية. ورد على المدرس قائلاً: ألا تعلمين أن الناس يقصدون الجامعة لهذا السبب؟

- وفي عام ١٩٨٤م انتقلت «أوبرا» إلى شيكاغو لتقديم البرنامج الصباحي A.M. CHICAGo الذي أصبح بعد مرور شهر على بثه البرنامج الأول على القناة وفي أقل من عام كامل تغير اسم البرنامج إلى «أوبرا وينفري شو» ومددت فترته إلى ساعة كاملة.

في عام ١٩٨٦م أصبح بث البرنامج على المستوى الوطني ليكون الأكثر مشاهدة على مستوى برامج الحوارات وأصبح فيما بعد من إنتاج شركة أوبرا الخاصة بها واليوم يتم بث برنامجها الشهير في ١١٢ دولة ويشاهده ٣٠ مليون مشاهد أمريكي أسبوعيًّا.

- **«أوبرا» دودة الكتب:** كان للقراءة أثر كبير في حياتها ففي حوار لها مع مجلة «لايف» قبل سنوات قالت أوبرا: كانت أسرتي تلقبني وأنا صغيرة بدودة الكتب، حيث كنت أمضي ساعات طويلة في مكتبة المنزل أقرأ وأقرأ ويمضي الوقت دون أن أدرك ما يحدث من حولي، كانت الكتب تمنحني فكرة أن هناك

حياة مختلفة وراء منزلي الفقير في «المسيسيبي».

ربما كان عشقها للقراءة هو ما دفعها إلى تقديم «نادي الكتاب» ضمن برنامجها «أوبرا وينفري شو».

في عام ١٩٩٦م وخلال ست سنوات قدمت ما يزيد على ٤٦ كتابًا وأما الكتب التي قامت أوبرا باختيارها فقد ارتفعت مبيعاتها لتصل إلى قائمة أعلى الكتب رواجًا، وبيع أكثر من مليون نسخة من كل كتاب كما منحها اتحاد الكتاب الأمريكي ميدالية ذهبية في عام ١٩٩٩م وجائزة الشرق من اتحاد الناشرين الأمريكيين عام ٢٠٠٣م تقديرًا لتأثيرها في صناعة الكتاب في الولايات المتحدة من خلال هذا البرنامج.

وليس القراءة فقط ما تشجع عليها «أوبرا» بل تدعو إلى الكتابة كذلك وتقول: «من خلال الكتابة تستطيع أن توضح كل أفكارك الداخلية ومشاعرك، وتستطيع أن تفهم من أنت.. من تريد أن تكون في الحياة».

وقامت هي بتأليف (٤) كتب أحدثها هو: Live Your Beat Life وكُتب عنها ١٧ كتابًا.

- ثروتها اليوم حوالي ١,٣ مليار دولار بدأت أولى خطوات البيزنس الخاص بها بشرائها لبرنامجها والذي أصبح

تحت تصرفها من خلال شركة اسمها HARPO Produetion والذي يحمل اسمها بالمقلوب، تبع ذلك إنجازها عام ١٩٩٩م حيث أنشأت شركة oxygen media الخاصة ببرامج المرأة على التلفزيون والإنترنت، ثم أطلقت أوبرا برنامج OPrah after The show وهو عبارة عن نصف ساعة من لقطات واقعية لا تلتزم بأي نص.

وفي عام ٢٠٠٠م صدرت oPrah magazReine التي أصبحت من أهم المجلات المتصدرة والمتخصصة بحياة النساء وسجلت المجلة نجاحًا تاريخيًّا، وفي عام ٢٠٠٢م طرحت أوبرا النسخة العالمية من مجلتها في جنوب إفريقيا.

- في عام ١٩٩٧م أسست برنامج جديد يدعو لجمع المساعدات المالية لمساعدة المحتاجين والذي حقق نتائج ملموسة، حيث تم بناء ٢٠٠١ منزل لإيواء المشردين كما استخدمت ٣٠ مليون دولار من المساعدات لإنشاء منحة تعليمية جامعية للطلاب المحتاجين بالإضافة إلى دعمها المعنوي والمالي لضحايا تسونامي من خلال شبكتها التي تهدف إلى تشجيع العمل التطوعي، وقامت بزيارة لقارة إفريقيا حيث قامت بتبني خمسين ألف طفل إفريقي محاولة منها للمساهمة في حل مشكلة الفقر المزمن الذي يعاني منه الكثير من أطفال

إفريقيا، وليس هذا وحسب بل كان لها المبادرة في سن قانون لحماية الأطفال عام ١٩٩١م حيث ألقت بشهادتها أمام اللجنة القضائية بمجلس الشيوخ مطالبة بإنشاء شبكة معلوماتية للمتهمين بالاعتداء على الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية وفي عام ١٩٩٣م وقع الرئيس الأمريكي بيل كليتون على ما أسماه «مذكرة أوبرا».

- وتقول «أوبرا»: إن وقتًا طويلاً مضي قبل أن أتعلم كيف أقول «لا» لكل من كان يحاول استغلالي، بل إنني وصلت إلى تلك المرحلة بعد أن تجاوز عمري السابعة الثلاثين، حيث اتضح لي أنني أضعت الكثير من الوقت في حياتي سدى لذلك أترجم وأنقل معاناتي السابقة للناس من خلال حلقات برنامجي أوبرا شو.

- وعن سر نجاحها في برنامجها تقول أوبرا: «أعتقد أن الأمر مرتبط بذلك الخيط الذي يربط بين أذهان البشر وعقولهم، فكلنا يرغب في الأشياء نفسها وتجاربنا الإنسانية متشابهة إلى حد ما، ليس هذا وحسب بل إن الشعور الذي تنقله إلى من تحاوره بأنه موازٍ لك وأنك لا تعتبر نفسك أعلى منزلة من الأمر الذي يجعل الحوار أكثر تلقائية وراحة أن كثيرًا من الذين حاورتهم

أصبحوا أصدقائي ويدعوني لزيارة منازلهم وتناول الغذاء معهم».

إنها أويرا .... صاحبة الإرادة الحديدية.

إنها أويرا .... السندريلا السمراء.

إنها من ضمن عشر نساء في العالم تأثيرًا على البشرية، بل لا تكتمل شهرة أي نجم من نجوم هوليود إلا بعد أن تستضيفه أوبرا.

كم منا يملك هذه الإرادة الحديدية لتحقيق أحلامه.

***

حلاق هندي ومملكة الصالونات الرجالي

- شأنه شأن كل أصحاب الحرف البسطاء الساعين إلى لقمة العيش.
- راتب زهيد لا يتبقى منه سوى القليل.
- طموح عالٍ لا يملكه إلا رجل.. وحرفة في يده يجيد استخدامها ويتقنها.

كان «فيجي» شابًا في مقتبل العمر عندما قدم لدولة الإمارات العربية قبل أكثر من عشرين عامًا كغيره من الهنود، جاء طلبًا للرزق على أراضيها، عمل في البداية حلاقًا في إحدى دكاكين الحلاقة البسيطة وبراتب شهري زهيد جدًا كان يرسل أكثر من نصفه إلى أسرته في الهند، ومع مرور الأيام أتقن «فيجي» الحرفة واكتسب خبرة كبيرة في هذا المجال أهلته لأن يصبح حلاقًا ماهرًا يشار إليه بالبنان، مما شجعه على التفكير بالانفصال وتأسيس دكان خاص به يكون فيه هو الآمر والناهي، فلم يجد صعوبة في إقناع أحد زبائنه المواطنين بأن يكفله، لأن قوانين الدولة لا تسمح بأن يفتح المستثمر الأجنبي محلاً دون أن يكون لديه كفيل مواطن في ذلك الوقت، فافتتح صالونه الأول وقام

باستقدام حلاقين هنود من بلدته الصغيرة بالهند.

كان شعار «فيجي» هو: تقديم خدمات راقية للزبائن تتفوق على تلك التي تقدمها الصالونات الشامية وبأسعار منافسة، وبالفعل نجح في ذلك بل نجح في تغيير مفهوم الحلاقة والتزيين الرجالي المتعارف عليه في تلك الفترة والذي كان يقتصر على مجرد دكان متواضع بداخله بعض الكراسي المهترئة يقوم عليها مجموعة من الحلاقين البسطاء، فقام بتقسيم المحل إلى كبائن منفصلة، كل كابينة مجهزة بتلفزيون صغير مزود بجهاز استقبال فضائي، وبات لكل حلاق عدته الخاصة من أجهزة ومقصات وأمواس،... يتم تعقيمها بعد كل عملية حلاقة، كما جهز قاعة الانتظار التي عادة ما تكون مكتظة بالزبائن الذين ينتظرون دورهم بكراسي وثيرة وجهاز تلفزيون عملاق مزود بسماعات هاي فاي، ونصب عليها موظفًا مهمته مقصورة على تقديم المشروبات للزبائن والمحافظة على نظافة المكان.

وهكذا انطلق «فيجي» بسرعة الصاروخ وازدهر عمله بشكل ملحوظ مما شجعه على افتتاح فرع آخر بعد شهور قليلة تبعه الثالث ثم الرابع، أما الخامس فكان مركز تجميل رجالي ومزودًا بـ (البدكير والمناكير) وتقليم الأظافر وخدمات تنظيف وتقشير البشرة بشتى أنواعها وألوانها وانتهاء بخدمة زرع الشعر لمن يعانون من مشكلة الصلع.

وجد «فيجي» أن شريحة كبيرة من زبائنه يأتون من ضواحي المدينة فقرر أن يقدم خدماته بنفسه إليهم فافتتح صالونات جديدة في الضواحي والمدن المتآخمة لمدينته، وبعد فترة اكتشف أنه ينفق مالاً كبيرًا لتغطية احتياجات مملكة الصالونات المترامية الأطراف التي يمتلكها ويشمل ذلك الأمواس وماكينات الحلاقة وعلب الكريم والشامبو والمناديل والمحارم الورقية وغيرها الكثير، فقرر أن يفتتح محلاً متخصصًا في استيراد وبيع أدوات الزينة والحلاقة ليسد بذلك النقص الذي كان يعاني منه ويتجنب التعامل مع جشع الموردين، ولم يقف طموحه عند مجال الحلاقة والتزيين فقط فقرر اقتحام مجالات أخرى جديدة مستغلاً السمعة التي جناها والاسم الذي اختاره كعلامة تجارية لجميع الصالونات التي يمتلكها، فقام بافتتاح مكتب سفريات ثم محل تصوير مستندات ثم مصبغة أتوماتيكية لكي تتولى عملية غسل المناشف وما يستخدمه في العمل، ثم أستوديو تصوير فوتوغرافي وأخيرًا محل هواتف محمولة وإكسسواراتها، ويعمل تحت إمرته ما لا يقل عن ٢٥٠ موظفًا ومازال يسكن في شقة صغيرة في إحدى البنايات مع أسرته الصغيرة.

والبداية حلاق بسيط.

والنهاية مليونير.

هكذا نجح هؤلاء
ولكن لماذا يفشل الآخرون؟

يفشلون لأنهم:

- لم يحلموا بالمستقبل.
- لم يسمحوا بدخول النور والتفاؤل داخلهم فأحبوا الظلام مع اليأس والقنوط.
- لا يريدون أن يشقوا طريقًا لهم يريدونه ممهدًا من قبل غيرهم.
- لم يدخلوا داخل أغوار أنفسهم ويتعاملوا معها.
- خائفون من كل شيء، وحتى خائفون أن يفهموا الأمور من حولهم.
- ليسوا رجال: فالرجل يبتسم عندما يواجه المتاعب ويستجمع قوته تحت الضغوط ويصبح شجاعًا بالتأمل.
- لا يريدون أن يتألموا حتى يتعلموا.
- لا يعلمون أن أفضل طريقة للتنبؤ بالمستقبل هي صناعته.
- لا يرغبون في المغامرة، مازالوا على الشاطئ لم يركبوا

البحر ويمروا ببعض الصعاب البسيطة ليستعدوا للأمور الجسام.

- أعداء أنفسهم وبامتياز.
- لا ينتهزون الفرص، فالفرص تواتي المستعدين لاغتنامها.
- لا يريدون تغيير وجهات نظرهم في الممكن والمسموح.
- ليسوا حكماء، فالشخص الحكيم يصنع فرصًا أكثر مما يعثر عليه من الفرص، كما أنه عادة ما تختفي الفرص في شكل عمل شاق، لذلك لا يتعرفون عليها.
- لا يتعلموا حتى من البعوضة، فهي لا تنتظر أبدًا فتحة تنفذ منها بل تصنع واحدة.
- متشائمون: يرون صعوبة في كل فرصة.
- لا يستفيدون من مواهبهم التي منحهم الله عز وجل إياها، فالمواهب فرص لإنجاز أعمال طيبة.
- لا يريدون أن يخاطروا، فالفرص تكمن حيث يوجد الخطر، ومتى كانت هناك فرصة، كان هناك خطر. إنهما صنوان لا ينفصلان. إنهما وجهان لعملة واحدة.
- يظنون أنه ليست هناك مساحة كافية على القمة. إنهم

يميلون للتفكير في القمة على أنها قمة افرست التي لا تقهر. ولكن هناك مساحة هائلة تتسع للكثيرين على القمة.

- ليسوا صابرين، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين وكذلك في الدنيا.
- يبحثون دائمًا عن أعذار، لديهم تبريرات، بل وينظرون إلى الأمور من الزوايا الشخصية.
- يرون مشكلة في كل حل وليس هذا وحسب بل يقومون باللف والدوران حول المشكلة ولا يواجهونها.
- يتوقعون المساعدة من الآخرين.
- لديهم أوهام وأضغاث أحلام يعيشون فيها ويبددون بها حياتهم وأحيانًا حياة من حولهم.
- كثيري الوعود والأخطاء ولكنهم لا ينفذون وعودهم ويتنكرون لأخطائهم ولا يعترفون بها بل ويعيدونها مرات ومرات متكررة.
- يرون في العمل ألم.
- ينظرون إلى الماضي ويتطلعون إلى ما هو مستحيل.

- ليس لديهم: حلم، خطة، طموح، تركيز، حماس، استعداد ورغبة في العمل بجد.
- هاربون من الحياة.

فهل أنت ستهرب مثلهم أم ستواجه الحياة وتكافح فيها لتصل إلى النجاح كما نجح هؤلاء ولا تفشل كما يفشل الآخرون؟؟؟؟؟؟؟

* * *

كتب للمؤلف

١- الإدارة والمدير.... الطريق نحو نجاح المشروع الصغير.
٢- الطريق نحو التميز- كيف تصنع من نفسك قائدًا ناجحًا؟
٣- كيف تدير وقتك؟
٤- مدير المبيعات الناجح- مهارات إدارية بيعية.
٥- أبجديات التفوق الإداري- ١٤١ سؤال وجواب في الإدارة.
٦- الآن أنت خبير- فن التعامل مع الآخرين.
٧- الخروج من المأزق.... فن إدارة الأزمات.
٨- مهارات إدارية لابد منها للقائد الناجح.
٩- الإيجابية مع النفس والآخرين.
١٠- ١٠٠ خطأ إداري تجنبها نضمن لك النجاح.
١١- الآن أنت مدير.
١٢- إدارة الاجتماعات........ لماذا تفشل كيف تنجح؟
١٣- معضلات إدارية تبحث عن حل.
١٤- زيارة لمعسكر الإداريين. ١٥- ٧٦٦ مصطلح إداري.
١٦- إعداد مدير المستقبل من التنشئة حتى تحمل المسئولية.
١٧- فن التعامل مع الشباب- دليلك في إعداد وإدارة جيل جديد.
١٨- فن التفاوض. ١٩- خلاصات إدارية.
٢٠- ١٧٩٠ نصيحة إدارية لتخطي الحواجز وصناعة النجاح.
٢١- ١٠٠ قانون للنجاح الإداري.
٢٢- الأزمات... كيف تواجهها بنفسك.
٢٣- تنمية الفطرة الإدارية. ٢٤- حياتك في إدارة الوقت.
٢٥- سلسلة ارسم حياتك:
- فن احتواء القلوب. - أنت لها: طريقك لمبادرة ذاتية فاعلة.
- تحكم في شراعك: طريقك إلى الثقة بالنفس.
٢٦- سلسلة معالم الطموح:
- كيف تبدأ: طريقك إلى التعلم والتدريب.
- البوصلة: كيف تدير حياتك العملية والمهنية.
- مذاق النجاح: كيف تصل إلى درجة الإتقان والجودة في العمل.
- النجاح لعبة: طريقك إلى الربح والفاعلية.
- من أنت؟ برنامج عملي للتعرف على شخصيتك وتقييم قدراتك.

المحتويات

***







18 شارع مطر - أحمد حلمي - شبرا مصر - تليفون: 0101068135
newandalus@hotmail.com